



الإصدار الأول

www.abdullahelwan.net

فهرس

الصفحة	الموضوع
٣	مقدمة الطبعة الثانية
٥	مقدمة الطبعة الأولى
٧	• <u>الفصل الأول</u>
	لماذا شرع الله الزواج ؟
١٠	• <u>الفصل الثاني</u>
	▪ لا رهبانية في الإسلام
	▪ خطر العزوبة على الفرد والمجتمع
٢٢	• <u>الفصل الثالث</u>
	عقبات الزواج :
	١- الغلاء في المهور
	٢- المبالغة في تكاليف الزواج
	٣- عائق الدراسة
	٤- الإرواء الغريزي غير المشروع
	○ الميوعة وأعداء الإسلام
	○ مسؤولية الدولة والمجتمع في استئصالها
	٥- قلة الأجور وغلاء المعيشة
	○ موقف الإسلام من الطبقة العاملة
	○ نماذج تطبيقية في الصدر الأول في التكافل
	○ اقتراح عملي في حل مشكلة السكن
	٦- انتشار البطالة
	○ المرأة والعمل
	○ علاج التربية المنحرفة
	٧- ترك المجال للنساء في التدخل
	٨- ضعف الوازع الديني
٧٥	• <u>الفصل الرابع</u>
	○ وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً
	○ منهج الإسلام في الوصول إلى العفة
	○ كلمة ختامية للأستاذ الطنطاوي

بسم الله الرحمن الرحيم

عقبات الزواج

وطرق معالجتها على ضوء الإسلام

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، وعلى آله وأصحابه والتابعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد : فتمتاز هذه الطبعة - أخي القارئ - عن الطبعة الأولى بزيادات هامة رأيت تضمينها وإثباتها . . لصلتها الوثيقة ببحث عقبات الزواج ، وطرق معالجتها على ضوء الإسلام .

وهذه الزيادة تشمل البحوث التالية :

أ - خطر العزوبة على الفرد والمجتمع .

ب - ظاهرة الميوعة ومسؤولية الدولة والمجتمع في استئصالها .

ج - موقف الإسلام من الطبقة العاملة .

د - اقتراح جديد في حل مشكلة السكن .

هـ - المرأة والعمل في الإسلام . . .

و - وليستغف الذين لا يجدون نكاحًا .

ز - مسك الختام " كلمة للأستاذ الكبير على الطنطاوي " .

وسوف تجد - أخي القارئ - هذه البحوث المبينة أعلاه مناسبة في فصول الكتاب ومواضيعه

هنا وهناك . . راجيًا من الله عز وجل أن يجعل فيها النفع العام ، والتوعية الشاملة . . عسى أن يعرف

شبابنا وشاباتنا رأي الإسلام في حل كل مشكلة تخصهم ، وترتبط بواقعهم ، وتصطدم بغاياتهم

وأمانتهم . .

اللّٰه أسأل أن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم ، وأن يبصر جيل الإسلام حقائق الإسلام ،
وحلول الإسلام ، وعظمة الإسلام . . إنه أكرم مأمول وبالإجابة جدير .

المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الأولى

الحمد لله رب العالمين ، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد ، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين ، وعلى من دعا بدعوتهم ، ونهج طريقهم بإحسان إلى يوم الدين . . . وبعد :

فإن المطلع على مبادئ الإسلام ، والمتعمق في أحكام الشريعة . . يجد الحلول المناسبة لكل مشكلة تعرض ، ولكل حادثة نظراً . . بشكل يحقق مصلحة الفرد والمجتمع ، ويؤمن سيادة الأمة ، وسلامة العالم . . ذلك لأن الإسلام دين الله الخالد ، يمتاز بخاصية الشمول ، ويتصف بمقومات الخلود والتجدد والاستمرار . . فكلما تقدمت الحياة ، وتطورت الحضارة . . ازداد الإنسان المنصف الواعي الفاهم المتجرد . . إيماناً و يقيناً بصلاحية هذا الإسلام ، وأفضلية هذا الدين ، ووجوب الاحتكام له ، والرجوع إليه في كل الظروف والأحوال ! . .

وصدق الله العظيم القائل : ﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ﴾ ! . .

ومن هذه المشكلات التي عالجها الإسلام ، ووضع الحلول المناسبة لها . . . مشكلة الزواج . . .
وها نحن أولاء نستعرض في هذا الكتاب العقبات التي تقف في طريق الزواج ، ثم تقدم الحلول المناسبة لها مستوحين ذلك من هدي الإسلام ، وتشريعه الخالد على مدى الزمان والأيام . . عسى أن يجد طالب الزواج ما يسهل له الطريق ، ويوصله إلى الغاية المنشودة . .

ولا بد لي إلا أن أذكر لك - أيها القارئ الكريم - الباعث الذي دفعني إلى نشر هذا الكتاب . .
وما أراه إلا في هذه الظاهرة الاجتماعية الأليمة التي تفتت في مجتمعنا العاتي الظالم . . ظاهرة العزوف عن الزواج ، وظاهرة الانحلال والتسيب . . التي سرت في الشباب والشابات سريان النار في الهشيم . .

ولا شك أن لهذه الظواهر أسبابًا كثيرة . . وعوامل عدّة ستجدها - أخي القارئ- منثورة في صفحات هذا الكتاب . . والتي تبج عنها كساد سوق الزواج في كل مكان . .
واني لو طيد الأمل - بعد عرض هذه المشكلات وتبيان طرق معالجتها - بأن يتفهم المصلحون والآباء والكتاب . . وكل من ينشد لشباب هذه الأمة الخير والإصلاح . . حقيقة هذه الحلول . . وطرق هذه المعالجة . . وأن يسعوا إلى تنفيذها ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا . . عسى أن يلبح شبابنا قنطرة الزواج ، وعسى أن يتحصنوا في حماه المنيع . . فعندئذ تصلح أخلاقهم ، وتقوى أجسامهم ، ويسلم لهم تفكيرهم ، ويغضون عن المحرمات أبصارهم . . ويجدون في روضته الزاهرة الراحة النفسية ، والاستقرار الهانئ السعيد ، وما ذلك على الله بعزيز . .
والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ! . .

عبد الله ناصح علوان

الفصل الأول

لماذا شرع الله الزواج

قبل أن أشرع في تبيان العقبات التي تعترض طريق الزواج ، وقبل أن أبين طرق تذليلها على ضوء الإسلام . . أحببتُ أن أذكر - ولو باختصار - الحكمة من الزواج ، وفوائده الصحية والخلقية والاجتماعية . . عسى أن يعلم شبابنا لماذا شرع الله الزواج ولماذا أمر به في سن مبكرة ؟ فلا يجدون بدءاً سوى أن يقبلوا عليه بوعي جديد ، ورغبة صادقة - رغم قساوة الظروف - إن أرادوا في الحياة إحسان نفوسهم ، وسلامة أخلاقهم ، وتلبية فطرتهم وغرائزهم . . وفي ذلك ذكرى للذاكرين . .

١ - المحافظة على النوع الإنساني :

من البدهيات التي لا تقبل الجدل أن الزواج طريق إلى تكاثر النسل الإنساني ، وعامل أساسي في استمراره وبقائه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . . ولقد نوّه القرآن الكريم عن هذه الحكمة البالغة حين قال : ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفسٍ واحدة ، وخلق منها زوجها وبثّ منهما رجالاً كثيراً ونساءً . . ﴾ [النساء : ١] .

- ﴿ والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً ، وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ﴾ [النحل :

٧٢] .

٢ - المحافظة على الأنساب :

وبالزواج الذي شرعه الله سبحانه يفتخر الأبناء بالتسابهم إلى آبائهم ، لأن في هذا النسب اعتبارهم الذاتي ، وكرامتهم الإنسانية ، وسعادتهم النفسية . . ولو لم يكن ذلك الزواج لعجّ المجتمع بأولاد لا كرامة لهم ولا أنساب . . وفي ذلك طعنة نجلاء للأخلاق الفاضلة ، وانتشار مريع للفساد والإباحية . .

٣ - سلامة المجتمع من الانحلال الخلقي :

وبالزواج يسلم المجتمع من الانحلال الخلقي ، ويأمن الأفراد من الفساد الاجتماعي . . لأن غريزة الميل إلى الجنس الآخر قد أُشبعَت بالزواج المشروع ، والاتصال الحلال . . وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم هذه الحكمة الخلقية حين وجه جماعة من الشباب إلى الزواج بهذا النداء الرائع : " يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة ^(١) فليتزوج فإنه أغضّ للبصر ، وأحصن للفرج . . . " رواه الجماعة .

٤ - تعاون الزوجين على تكوين الأسرة وتربية الأولاد :

وبالزواج يتعاون الزوجان على تكوين الأسرة وتربية الأولاد ، وتكاليف الحياة . . حيث يكمل كل منهما عمل الآخر : فالمرأة تعمل ضمن اختصاصها وما يتفق مع طبيعتها وأنوثتها . . وذلك في الإشراف على إدارة البيت ، والقيام بواجب التربية . . والرجل أيضا يعمل ضمن اختصاصه ، وما يتفق مع طبيعة رجولته . . وذلك في السعي وراء العيال ، والقيام بأشق الأعمال .

وبهذا يتم روح التعاون بين الزوجين ، وتكون الأسرة على أسس من التربية الفاضلة، وينعم البيت بنعمة المودة والرحمة تحت ظلال الحقوق التي وضعها الإسلام .

٥ - سلامة المجتمع من الأمراض :

وبالزواج ينجو المجتمع من الأمراض السارية الفتاكة التي تنتشر نتيجة الزنى وانتشار الفاحشة . . من هذه الأمراض : مرض الزهري ، وداء السيّلان (التعقبة) وغيرها من الأمراض الخطيرة . . التي تورث العقم ، وتوهن الجسم ، وتشوه النسل ، وتنتشر البواء . .

٦ - السكن الروحي والنفسي :

وبالزواج تنمو بين الزوجين روابط المودة والرحمة ، ويسكن كل منهما إلى الآخر ، ويجد كل منهما سعادته تحت ظل الآخر .

(١) الباءة : القدرة على الزواج .

فالزوج حين يفرغ من عمله ، ويركن عند المساء إلى بيته ويجتمع مع أهله وأولاده . . ينسى الهموم التي اعترته في نهاره ، ويزول من نفسه التعب الذي كابدته في سعيه وكفاحه . . وكذلك المرأة . . وهكذا يجد كل من الزوجين في ظل الآخر سكنه النفسي في ساعة لقاءهما ، ويشعران بالطمأنينة القلبية ، والسرور المتبادل في لحظات اجتماعهما .

وهكذا يستقبل كل منهما اليوم الجديد الذي يلي هذا اللقاء بعزم وحيوية ونشاط . . لأداء المهمة المكلف بها كل منهما . . وفي ذلك اضطلاع بالمسؤولية ، وتحقيق لسعادة الأولاد والأسرة !! . . وصدق الله العظيم القائل في محكم تنزيله : ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة . . ﴾ [الروم : ٢١] .

٧ - تأجيج عاطفة الأمومة والأبوة :

وبالزواج تتأجج العاطفة الفياضة في نفس الأبوين نحو أولادهما ، ويشد سعي الأحاسيس والمشاعر نحو أفلاد أكبادهما . . ولا يخفى على كل ذي عقل ما في هذه المشاعر النفسية من أثر بالغ ونتيجة طيبة في رعاية الأبناء ، وتربية الأولاد ، والسهر على مصالحهم ، والنهوض بهم نحو حياة كريمة ومستقبل بسام !! . .

بعد الذي ذكرناه من فائدة وحكمة ، فلا عجب أن نجد الشريعة الإسلامية الغراء أن حضت على الزواج ورغبت فيه . .

فلنستمع إلى ما يقوله القرآن الكريم : ﴿ فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة ﴾ [النساء : ٣] .

﴿ وأنكحوا الأيامى ^(١) منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ [النور : ٣٢] .

(١) الأيامى : جمع أيم : أي من لا زوج له رجلاً كان أو امرأة ، بكرًا كان أو ثيبًا .

ولنستمع إلى ما يقوله عليه الصلاة والسلام : " يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة ^(١) فليتزوج فإنه أغضّ للبصر ، وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء ^(٢) " رواه الجماعة .

- " الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة " . رواه مسلم وابن ماجه والنسائي . .
- " أربع من سنن المرسلين : الحنّاء ، والتعطر ، والسواك ، والنكاح " . (رواه الترمذي) .
- " تناكحوا تناسلوا تكثروا فإني مباه بكم الأمم " (رواه عبد الرزاق والبيهقي) .

(١) المراد بالباءة : القدرة على الزواج وتشمل الناحية الصحية والمالية ..
(٢) الوجاء : بكسر الواو ، مأخوذة من وجأ بمعنى قطع ، والمعنى : إن الصوم قاطع للشهوة لمن لم يستطع الزواج .

الفصل الثاني

لا رهبانية في الإسلام

وإذا كان الإسلام شرع الزواج وأمر به وحضّ عليه فلا يجوز للمسلم ، بل يحرم عليه أن يزهد بالزواج ويمتنع عنه بنية التفرغ للعبادة ، والتقرب إلى الله ، ولا سيما إن كان قادراً على الزواج متيسراً له أسبابه ووسائله . . ذلك لأن الإسلام يجارب بشدة لا هواده فيها كل دعوة إلى رهبانية بغیضة ، وعزوبة ذميمة لأنها تتعارض مع فطرة الإنسان وتصطدم مع غرائزه وميوله . .

فقد روى البيهقي في حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه : " إن الله أبدلنا بالرهبانية الحنيفية السمحة " .

وروى الطبراني والبيهقي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم " من كان موسراً لأن ينكح ثم لم ينكح فليس مني " .

ونحن لو تأملنا مواقف رسول الله صلى الله عليه وسلم في تربية النفوس ، ومعالجة مشاكل المجتمع . . لا زدنا يقيناً أن هذه التربية وتلك المعالجة قائمة على إدراك فطرة الإنسان ، ورامية إلى تلبية أشواقه وميوله . . حتى لا يتجاوز أي فرد من أفراد المجتمع حدود فطرته، ولا يسلك سبيلاً منحرفاً يصطدم مع غريزته . . بل يسير على مقتضى المنهج القويم السوي الذي رسمه الإسلام سيراً طبيعياً معتدلاً سوياً . . فلا يقف وقد سار الناس ، ولا يتقهقر وقد تقدّم البشر ، ولا يضعف ولا يجبن وقد قوي أبناء الحياة !! . .

واليكم هذا الموقف بتمامه :

روى البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه : " جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادته عليه الصلاة والسلام ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها (وجدوها قليلة) ، فقالوا : وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ؟ !! . .

قال أحدهم : أما أنا فإني أصلي الليل أبداً !! ..

وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر !! ..

وقال آخر : أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً !! ..

فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : " أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له ، لكنى أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني " .

وهذا الموقف من رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم برهان على أن هذا الإسلام هو دين الفطرة، ومنهج الحياة وشريعة الخلود . . إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها " ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون " ؟ .

* * *

خطر العزوبة على الفرد والمجتمع^(١) :

فإذا كان الإسلام حرم الرهبانية ، وذم العزوبة . . فمعنى هذا أن خطراً بالغاً ، يصيب الفرد ، ويزعزع كيان المجتمع . . من جراء هذه العزوبة البغيضة ، والعزوف عن الزواج الذي شرعه الله وأكرم به عباده . .

واليكم أهم هذه الأخطار التي تترتب من انتشار العزوبة والعزوف عن الزواج :

١ - الخطر الصحي :

من المعلوم يقيناً أن العزوبة إذا انتشرت في أمة من الأمم . . فمعنى هذا أن أكثر شبابها وكثيراً من شاباتهما اتجهوا في حياتهم الاجتماعية إلى حياة المجون والخلاعة ، وإلى أجواء الفساد والانحلال . . لأن النفس الإنسانية إذا لم يكن لها من تقوى الله رادع ، ومن مراقبته سبحانه زاجر . . انخرطت - ولا

(١) استفتت كثيراً من هذا البحث من كتاب " خطر التبرج والاختلاط " للمؤلف عبد الباقي رمضون .

شك - في حمأة الملذات والشهوات ، وناهت في ببداء الفاحشة والرذيلة . . لتشبع الفطرة الغريزية ،
والميل الجنسي . . بالخنا والزنى ، والاتصال الحرام ، والعلاقات المشبوهة . .
وإذا انتشر الزنى في أمة أصيبت بالأمراض والأوجاع التي تنهك القوى وتفكك بالجسم . .
واليكم أهم هذه الأمراض الصحية والجسمية التي تترتب من انتشار الزنى كما أجمع عليها الأطباء
(١) :

* مرض السيلان :

ينتقل بعملية الزنى ، ويسبب التهاباً حاداً أو مزمنًا في الرحم والخصيتين ، قد يؤدي إلى العقم ،
وإلى التهابات في المفاصل ، وقد يؤثر على المولود ، فيحدث التهابات في عينيه تؤدي إلى العمى . .

* مرض الزهري :

وسمى ماضيًا بداء الإفرنجي لصدوره عن المجتمعات الإفرنجية التي يكثر فيها الزنى ، وتفشوا بين
أبنائها الفاحشة .

ينتقل هذا المرض بالاتصال الجنسي - بالزنى أو التقبيل - المحرم ، ويسبب التهابات جلدية
ومفصالية ، وعظمية ، وعضلية ، وقلبية ، وبطنية ، ورئوية ، وكبدية ، وعصبية ، وتخريبات في الجلد
والوجه والأظافر واللسان . .

* مرض التقرحات الجنسية :

ينتقل بالاتصال الجنسي المحرم ، ويسبب التهابات في العُقد البلغمية . . قد تؤدي إلى خراجات
قيحية مزمنة ، والتهابات في المجاري البولية ، وآلامًا مفصالية ، وتورمات في الأطراف . .

* مرض القرح اللين :

ينتقل عن طريق الزنى ، ويسبب تقرحًا مؤلماً في الجهاز التناسلي قد ينتشر ليكتسح الجلد .

(١) هذا وأن مرض (الإيدز) لم يكن قد ظهر بعد إبان حياة المؤلف رحمه الله وإلى الآن لم يظهر له علاج (الناشر) .

* مرض النضج الجنسي المبكر :

يصاب به بعض الأولاد نتيجة تهييج الشهوة قبل أوانها ، واستثارة الغريزة قبل اكتمال غدها . .
ويسبب تشوهات بدنية ، وأمراضاً عصبية ونفسية . .
هذه بعض الأمراض الصحية والجسمية التي تصيب الجسم نتيجة لانتشار الفاحشة . .

٢ - الخطر الخُلقي والنفسي :

بالانطلاق في حمأة الرذيلة والشهوات تسيطر الغريزة الجنسية على جميع طاقات الإنسان الجسمية والعقلية والنفسية والروحية . . فترى هذا الشهواني يندفع نحو أعمال الشهوة والغريزة اندفاعاً حيوانياً جنونياً عنيفاً . . فلا يفكر إلا في إشباع نهمه الجنسي ، ولا يهتم إلا بإرواء غريزته البهيمية . .
وقد يصاب هذا الإباحي الشهواني . .

* بمرض الشذوذ الجنسي : (اللواط ، السحاق) ، وهو مرض خطير يكتفي فيه الرجال بالرجال ، والنساء بالنساء ، هذا المرض أصيبت به مجتمعات كثيرة تدعى التقدم والحضارة كأمریکا وانكلترا . . فهناك نصف مليون من الرجال والنساء المصابين بهذا الشذوذ في مدينة " نيويورك " بأمریکا ، وهؤلاء عليون مجاهرون محترفون . . أما المستترون المخفقون فحدث عن عددهم الكثير ولا حرج . .

* وقد يصاب بمرض الهوس الجنسي : حيث ترى المريض مشغولاً في جميع أوقاته بتخيلات شهوانية غريزية . . من نكاح، وتقبييل ، وضم ، وعناق ، وتصورات لأعضاء المرأة من وجه ، وعينين ، وعنق وشفتين ، ونهدين وسوءة وفخذين وغيرها . . تراه منصرفاً عن كل شيء . . فيكثر نسيانه ، ويقل اهتمامه ، وتشتد غفلته ، ويضعف انتباهه . . وتراه كأنه غبي مخمور ، أو كأنه مكروب محزون . .
وتسبب هذه الظاهرة الأليمة تحولاً في الجسم ، وضعفاً في الذاكرة ، وقلقاً في النفس . .

ومن أخطار الزنى الخلقية في المجتمعات الغربية والشرقية :

- الشباب الشارد السادر في الشهوة ، والمخمور في الحشيش والخمر والأفيون .

- الجليل المتحلل المائع المريض جسمياً وعقلياً وخلقياً ونفسياً ..
- عصابات القتل والخطف والاعتصاب الجنسي .
- عصابات التهريب للمخدرات كالأفيون والحشيش ..
- تجار الشهوات والغرائز ، وبيع الفتيات وتأجير البغايا ..
- عصابات من الأطباء والمحامين ورجال القانون .. لتغطية الجرائم ، وهضم الحقوق لقاء الرشوة بالجنس والمال .

- نوادي العراة العلنية .. يتعرى فيها روادها من كل رداء للفضيلة بلا حياء ولا خجل ..
- المواخير المرخصة لتأجير العاهرات ..
- أفواج المومسات يحترفن الزنى لكسب الكفاف ..
- الأغاني الفاحشة ، والموسيقى الراقصة المثيرة ، والمسرحيات المهيجة ..
- كتب الجنس ، ومجلات العري ، وكباريات الرقص والمجون ..
- أفواج (الهيبين) الإباحيين المتشبهين بالحيوانات والخنافس ..
- أفواج (البوب) اللا منتمين الغارقين في السكر والزنى والفاحشة ..
- إباحيون مستهترون يكفرون بكل فضيلة ، ويستبيحون كل رذيلة ، ويسرون مع الأهواء والنزوات ..

إلى غير ذلك من مظاهر الفساد والإباحية مما لا يمكن تعدادها وحصرها ..

وكان من نتيجة ذلك :

أن صرح " خروتشوف " سنة ١٩٦٢ بأن مستقبل روسيا في خطر ، وأن شباب روسيا لا يؤتمن على مستقبلها لأنه مائع منحل غارق في الشهوات . وفي الوقت نفسه صرح " كنيدي " أيضاً بأن مستقبل أمريكا في خطر ، لأن شبابها منحل غارق في الشهوات ، لا يقدر المسؤولية الملقاة على عاتقه ، وأنه من

بين كل سبعة شبان يتقدمون للتجنيد يوجد ستة غير صالحين ، لأن الشهوات التي أُغرقوا فيها أفسدت لياقتهم الجسمية والنفسية . .

وعموماً فإن الحياة المادية المحضة هي التي تسود المجتمعات البشرية في العالم ، وأصبح هدف الناس الوحيد هو تأمين الخمرة والجنس واللذة . . دون أي امتثال للتوجيهات الطيبة ، والنظريات العلمية ، والإرشادات التربوية . . فسادت في هذه المجتمعات الإباحية، وتفشت المبادئ الإلحادية والوجودية . . وكثرت الجرائم الاجتماعية ، والخianات الزوجية . . وأصبح الإنسان عدواً لأخيه الإنسان !! . .

٣ - الخطر الاجتماعي :

من القضايا المسلم بها لدى المفكرين ورجال الإصلاح وعلماء الاجتماع أن الشباب في أمة من الأمم حينما يسرون في طريق العزوبة ، ويهربون من مسؤولية الزواج والأسرة . . فإنه تترتب عن ذلك أخطار جسيمة على الفرد والمجتمع :

* من هذه الأخطار تهديد الأسرة بالزوال :

لأن الشاب العزب حين يشبع نهمه الجنسي بالحرام لا يمكنه مجال أن يفكر بتكوين أسرة ، وإنجاب أولاد . . وكذلك المزنّي بها لا ترغب بالحمل ، ولا ترضى بالولد . . لضرر الحمل الجسمي ، وتأثيره النفسي عليها . . فهي تحاول الخلاص منه بأية وسيلة !! . .

* من هذه الأخطار ظلم المواليد والأطفال :

لأن المجتمع الذي يهرب من الزواج ، وينساق أبناؤه وراء الانحلال والإباحية . . يعجّ بأولاد لا كرامة لهم ولا أنساب ، وفي هذا ظلم للأولاد وأي ظلم ؟ ! .
- ظلم لهم لأن الولد محروم من حب أبيه ، وعطف أمه . . وأين له الحب والحنان والعطف وهو تربية المحاضن والمستشفيات ؟ .

- ظلم لهم لأن الولد حين يعي ويستشعر أنه ابن الزنى والعار فإنه يتعقد نفسياً ، ويتحرف سلوكياً واجتماعياً . . بل يكون أداة إجرام على الفرد والمجتمع بل على الأمن والاستقرار !! . .

* من هذه الأخطار شقاء الرجل وشقاء المرأة على السواء :

ذلك لأن كلا من الرجل والمرأة لا يجدان الحياة الهائلة السعيدة ، والعيش المستقر الكريم . . إلا في ظلال الحياة الزوجية القائمة على المودة والرحمة . . حيث أفرادها كأعضاء الجسد الواحد في الترابط والتعاون والتآلف . . وهذا الأمر يكون معدوماً في المجتمع الذي لا يروح فيه سوق الزواج ، وفي هذه الأمة التي تسير وراء التمتع والانحلال !! .

* ومن هذه الأخطار قطع صلة الرحم والقرباة :

لأن العزب حين ينساق وراء شهوته وغريزته في سوق الملهيات والمحرمات . . تراه منبوذاً محترقاً لدى رحمه وقرباته الصالحاء . وهذا لا شك مما يؤصل في كيانه روح العقوق والتمرد والعصيان . . بل يندفع إلى الشقاوة والتلطيخ بالآثام والعار بشكل أكبر . كلما رأى من أبويه ورحمه . . استنكاراً أو إعراضاً . وليس هناك من ذنب - بعد الإشراف بالله - يعدل العقوق وقطيعة الرحم في نظر الإسلام !! .

إلى غير ذلك من هذه الأخطار التي لا تحفى على كل ذي لب وبصيرة . .

٤ - الخطر الاقتصادي :

لا شك أن الذين يصرفون همهم الأكبر في سوق الملهيات والشهوات هم ممن تخلوا عن الزواج المشروع ، وانساقوا وراء الفاحشة الآثمة . .

فهؤلاء يسببون انهيار الاقتصاد في الأمة . .

- لضعف القوى .

- وقلة الإنتاج .

- واتخاذ الوسائل غير المشروعة :

* أما ضعف القوى :

فإن العزب الذي ينساق وراء الفاحشة واللذة فإنه يمرض عقلياً ، ويمرض جسمياً ، ويمرض خلقياً ، ويمرض نفسياً .. ولا شك أن المريض تضعف قواه ، وينحط جسمه ، وتنهار همته .. فلا يستطيع أن ينهض بمسؤولية التقدم الحضاري ، والأزدهار الاقتصادي لانحطاط جسمه العام ، وإصابته بالمرض المضني المقعد .. ولقد عرضنا لجوانب هذه الأمراض الجسمية والخلقية والنفسية بشيء من التفصيل ..

* أما قلة الإنتاج :

فإنه حاصل بسبب ضعف القوى ، وإصابة المرض .. وبسبب تبدد الأموال وضياعها في طريق الانحلال والمجون .. وبسبب عدم الإخلاص في العمل ، والإلتقان في الإنتاج لانعدام الرادع الإيماني ، والزاجر الأخلاقي لدى الإنسان ، عدا عن أنه سار في طريق فقد فيه كرامته الآدمية ، ولياقته الجسمية والنفسية ..

* أما اتخاذ الوسائل غير المشروعة :

فلأن التاجر الوضع المنحل الذي ليس له من تقوى الله رادع .. يريد أن يحصل على المال لإشباع نهمه المادي من أي طريق .. طريق الربا والميسر ، طريق اللهو والترف ، طريق الرشوة والاختلاس ، طريق السرقة وأكل الأموال العامة ، طريق الاتجار بالأعراض، والاتجار بالمصوّرات العارية ، والاتجار بالمجلات الماجنة ، والاتجار بالأفلام الخليعة ، والاتجار بالمسكرات والمخدرات ، والاتجار بالكتب الفاحشة والقصص الغرامية .. إلى غير ذلك من هذه الوسائل في جمع المال التي لا تعود على المجتمع إلا بالخراب والضرر والبطالة والفقر ، وقتل القيم ومكارم الأخلاق .. إذ بها تهدر الطاقات المنتجة ، وتعطل المكاسب المشروعة .. ويعيش المجتمع أسير الاستغلال واللصوصية ، وسجين الأنانية والحسوية ، وعبد الشهوة واللذة والهوى ..

وإذا كان الاقتصاد في الدول الكبرى كأمريكا وروسيا وغيرها . . - وهي بؤرة الانحلال والإباحية - لم يصب حتى الآن بالتصدع والانهيار ، فإن ذلك عائد إلى أن هذه الدول فى أوج شبابها ، والشباب لا تظهر عليه سريعا آثار المرض . . ولكن بعد زمن سيكون التصدع والانهيار لا محالة ^(١) ، ومنه قول الشاعر :

ما طار طير وارتفع إلا كما طار وقع

وعلينا أن لا ننسى أيضاً أن هذه الدول الكبرى اليوم هي التي تستعد الأمم الضعيفة، والشعوب الصغيرة . . وهي التي تمتص دماءها ، وتسلب خيراتها ، وتجعل من أسواقها سوقاً آخر لبيع منتجاتها . . ولولا ذلك لظهر عوار هذه الدول الاقتصادي، وانهارها الإنتاجي والحضاري منذ فترة . .

وسياتي اليوم الذي فيه دمارها وهلاكها إن بقيت سائرة في طريق الانحلال والإباحية، وصدق الله العظيم القائل في محكم تنزيله : ﴿ وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً ﴾ [الإسراء : ١٦] .

٥ - الخطر الديني والأخروي :

وأخيراً فإن العزب الذي لا يستعفف ، والذي لم يكن له من تقوى الله زاجر ولا رادع . . فإنه يصاب بأربع خصال ذميمة نوه عن ذكرها وعدد معالمها . . عليه الصلاة والسلام .

روى الطبراني في الأوسط عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " إياكم والزنى ، فإن فيه أربع خصال : يُذهب البهاء عن الوجه ، ويقطع الرزق ، ويسخط الرحمن ، ويسبب الخلود في النار " .

ومن خطره الديني أن الزاني حين يزني ينسلخ من الإيمان ، فقد روى البخاري ومسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن . . " . ومن خطره الأخروي أن الزاني يضاعف له العذاب يوم القيامة ، قال تعالى في سورة الفرقان : ﴿ والذين لا يدعون مع الله إلها

(١) ولا يخفى على أحد انهيار الاتحاد السوولهيته سنة ١٩٩١ ، وهذه إحدى نبوءات الشيخ رحمه الله التي لم يدركها (الناشر) .

آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومع يفعل ذلك يلق أثمًا يضاعف له العذاب يوم
القيامة ويخلد فيه مهاناً ﴿﴾ .

تلکم أهم الأخطار التي تنجم عن العزوبة البغيضة والرهبانية الذميمة . . وهي أخطار كما رأيت
- أخي القارئ - تضر بالصحة ، وتضر بالأخلاق ، وتضر بالنفس ، وتضر بالاقتصاد ، وتضر بالاجتماع
، وتضر بالعقل ، وتضر بالدين . . .

ومن هنا كان قول النبي صلى الله عليه وسلم بيننا واضحًا حين بين لأصحابه مرة أن العزَاب هم
شرار الخلق ، وأن الذين يموتون وهم عزَاب هم أراذل الموتى . . فقد روى أبو يعلى والطبراني عن النبي
صلى الله عليه وسلم أنه قال : " شراركم عزَابكم ، وأراذل موتاكم عزَابكم " .

ولكن ما هو السبيل إلى مكافحة العزوبة واستئصالها في بلد ينتسب أكثر شبابه وشبابه إلى
الإسلام ؟

السبيل إلى مكافحة العزوبة في نظر الإسلام يرتبط بأمرين أساسيين :

الأول : التطهير .

الثاني : الزواج المبكر .

* وأقصد بالتطهير : تطهير الشارع ، وتطهير الملاهي ، وتطهير الشواطئ ، وتطهير المدارس
وتطهير الاجتماعات . . من كل عوامل السقوط والانحدار والمفاسد . . والشاب حين يرى بأم عينيه
نظافة المجتمع من الانحلال ، وطهارة الشارع من الميوعة . . وحين يرى أن الطريق إلى ارتكاب الفاحشة
والزنى قد أوصد بابه ، وزال من المجتمع معالمه وآثاره . . فعندئذ يعلم علمًا أكيدًا أنه ليس له سبيل
لإرواء غريزته الجنسية إلا سلوك طريق الزواج الذي شرعه الله سبحانه ، وسهّل طريقه دين
الإسلام !! . . وهكذا ينطلق برغبة صادقة ، وعزيمة مخلصة . . ليلج قنطرة الزواج ما استطاع إلى
ذلك سبيلًا !! . .

* وأما الزواج المبكر فإنه سنة الإسلام ، وسبق أن ذكرنا نصح النبي صلى الله عليه وسلم للشباب حين قال : " يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج . . " ولقد بين عليه الصلاة والسلام الحكمة من ذلك حين عقب : " فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج " .
ومثل هذا أمر بديهي بالنسبة إلى دين يريد تطهير حياة الشباب من برائن الميوعة ، وهو اجس المراهقة ، واندفاع الغريزة . . ليستطيعوا التفرغ لمسؤولياتهم الكبرى في بناء الحياة ، وعز الإسلام !! ..

ولكن بالنسبة لأمر التطهير فإنه مرتبط بنظام اجتماعي كامل يكون في أول أحكامه تطهير الشارع ، والملاهي ، والشواطئ ، والمدارس . . من هذه المفاصد المدمرة . . والإسلام هو أول دين يحرم كل ما يوصل إلى الانحلال ، ويؤدي إلى ارتكاب الفاحشة . . حتى يتطهر الشارع من عوامل السقوط ، ويتنظف المجتمع من أسباب الانهيار . . ولكن السد كبير والفجوة واسعة بين الحكام الذين بأيديهم الزمام ، وبين الإسلام الذي هو نظام حكم ومنهج الحياة . . ولا يمكن لهذا السد أن ينكسر ، ولهذا الفجوة أن تزول إلا على يد الشباب المؤمن الواعي المجاهد . . وسيكون ذلك قريباً إن شاء الله ، وعندئذ يفرح المؤمنون بنصر الله . .

أما بالنسبة للزواج المبكر فيمكن تحقيقه في مجتمعاتنا الإسلامية إذا تضافرت جهود العاملين للإسلام ، وتعاضدت مساعي المفكرين والمصلحين والأغنياء . . في تذليل كل العقبات التي تعترض سبيل الزواج . .

وسوف تجد - أخي القارئ - في البحوث القادمة العقبات التي تعترض طالبي الزواج ، وفي الوقت نفسه سوف ترى الحلول العملية في تذليل هذه العقبات مستوحاه من أنظمة الشريعة ، ومبادئ الإسلام . . عسى أن تكون هذه الحلول نبراساً مضيئاً لرجال الدعوة والإصلاح في كل آن ، ونوراً مبيناً تهدي به أمة الإسلام في كل مكان !! .

الفصل الثالث

عقبات الزواج

إذا ألقينا نظرة عامة إلى حياتنا الاجتماعية ، وواقعا الملموس . . نجد أن أكثر شبابنا عزفوا عن الزواج الذي شرعه الله سبحانه ، وانصرفوا إلى حياة العزوبة البغيضة التي هي من أكبر العوامل - كما ذكرت - في الانحرافات النفسية والخلقية ، والأمراض الجسمية والعقلية ، والأخطار الاجتماعية والاقتصادية .

ولابدّ هناك من أسباب مادية ، ومؤثرات اجتماعية . . دعت الشباب لأن يفضلوا حياة العزوبة على الزواج الذي به استقرارهم النفسي ، وإصلاحهم الخلقى ، وصحتهم الجسمية ، وتكامل شخصيتهم الاجتماعية . .

ولنبحث الآن عن أهم هذه الأسباب والمؤثرات التي وقفت عقبة كأداء في طريق الزواج ، ودفعت الشباب إلى حياة الترهّل والانحلال والجون . . عسى أن يتنبّه لها أولوا الأمر ، وعلماء الاجتماع ، وأرباب الصحف والأقلام . . فلا يجدون بدءاً سوى أن يتعاونوا على إزالتها والقضاء عليها ، بل أن يعملوا جادين على استئصالها ، واقتلاع جذورها . . إن أرادوا تحقيق الخير لبني الإنسان ، وإتقاذ الجيل من عوامل الفساد والإباحية !! .

وأهم العقبات التي وقفت في طريق الزواج ، وزدات في مشكلة العزوبة ، وصرفت الشباب إلى حياة العزلة والانطوائية هي :

" ١ " الغلاء في المهور

كثير من الناس اليوم انحرفوا عن الإسلام الصحيح ، وأصبحوا ينظرون إلى تزويج بناتهم نظرة مادية مجتة - كما ينظر التاجر إلى سلعته التجارية التي يتوخى منها الربح العظيم والمكاسب الكثيرة - دون التعرف إلى القيم الأخلاقية ، والاعتبارات الدينية التي بها تيسر سبل الزواج وتأسيس دعائم الأسرة . .

فالأب الذي عنده فتاة جميلة ، أو توظفت في وظيفة ، أو نالت حظاً من شهادة .. تملكه نشوة
الاعتزاز ، وتداخله حماقات العجب والغرور ، فحين يتقدم خاطب ليخطب ابنته ، فإن رضي أن
يكلمه كلمه بلهجة المستعلي المتسكبر ، وإن وافق على زواجه طلب منه المهر والتكاليف ما يتقل كاهل
الخاطب ، وينوء عن حمله فضلاً عن دفعه وتقديمه !! ..

وقلما يتحقق مع هؤلاء النمط من الناس تفاهم ، أو يتم مع هؤلاء النماذج من الآباء زواج .. اللهم
إلا إذا تنازل الخاطب عن شخصيته ، وحمل نفسه فوق طاقته .. فعندئذ يخضع لكل أمر ، ويستجيب
لكل مطلب !! .

إن هؤلاء الآباء والأولياء .. الذين يقفون مثل هذه المواقف المشينة في تعقيدات الزواج ، ويغالون
في المهور فوق حد المعقول والتصور .. قوم ظالمون ومستبدون وأنايون .. .

قوم لا يحسبون حساباً لهذا الواقع الاجتماعي الذي يعيشون فيه ، ولا يقدرّون النتائج الخلقية ،
والمفاسد الاجتماعية التي تنجم عن كساد سوق الزواج ..

قوم حكمت عليهم نفوسهم الظالمة ، واستبدادهم الغاشم بأن يحولوا دون تقدم الأمة في أخلاقها ،
ورقي المجتمع في سمو روحه ، ومكارم آدابه ..

قوم استهواهم بريق المادة الخداع ، واستحكمت فيهم أعراف ما أنزل الله بها من سلطان .. فلا
يروجون إلا من يدفع لهم مهراً أكثر ، وثنناً أعلى !! ..

قوم ابتعدوا عن روح الشريعة الإسلامية الغراء ، وعن جوهر الدين الحنيف .. حتى أضحوا لا
يفهمون من الدين إلا اسمه ولا يعرفون من الإسلام إلا رسمه ! ؟ ..

قوم لم يأخذوا بمنهج الإسلام : " إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه " وإنما أخذوا بأعراف
الجاهلية ، ونظرات أهل الجاه والدنيا دون رادع من دين ، ورقابة من ضمير !! .

أين هذا من تعاليم الإسلام ، ووصايا النبي عليه الصلاة والسلام في التساهل بالمهور، والتسامح مع
الخاطب المسلم ذي الخلق والدين ؟ !! .

- روى البخاري ومسلم في صحيحيهما أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم أن يزوجه امرأة.. فقال عليه الصلاة والسلام: فهل عندك من شيء؟
فقال: لا والله يا رسول الله. فقال: اذهب إلى أهلك هل تجد شيئاً؟ فذهب ثم رجع فقال:
لا والله ما وجدت شيئاً!! . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: انظر ولو خاتماً من حديد.
فذهب ثم رجع فقال: لا والله يا رسول الله ولا خاتماً من حديد، ولكن هذا إزارى فلها نصفه!! .
فقال عليه الصلاة والسلام: ما تصنع بإزارك؟ إن لبستهُ لم يكن عليها منه شيء، وإذا لبستهُ لم
يكن عليك منه شيء!! .

فجلس الرجل حتى إذا طال مجلسه قام، فراه رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤمياً، فأمر به
فدُعي له، فلما جاء قال: وماذا معك من القرآن؟ قال: معي سورة كذا، وسورة كذا..
عددها. فقال: تقرأهن عن ظهر قلبك؟ قال: نعم. قال: اذهب فقد زوجتُكها بما معك من
القرآن.

(أي كان المهر أن يعلمها ما يعلمه من القرآن الكريم).

- روى مسلم في صحيحه أن رجلاً جاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله: إني
تزوجتُ امرأة من الأنصار. فقال عليه الصلاة والسلام: على كم تزوجتُها؟ قال: على أربع
أواق!! . فقال صلى الله عليه وسلم: "على أربع أواق^(١)؟ كأننا نتحتون الفضة من عرض هذا
الجبيل!! .. ما عندنا ما نعطيك، ولكن عسى أن نبعثك بعثاً تصيب منه..

- وروى الإمام أحمد، وأصحاب السنن عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: "لا تغالوا
في صدق النساء (أي مهورهن)، فإنها لو كان مكرمة في الدنيا أو تقوى عند الله كان أولاكم بها النبي

(١) أوقية الفضة تساوي من الغرامات في عرفنا اليوم ٢٨ غ تقريباً.

صلى الله عليه وسلم ، ما أصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة من نسائه ، ولا أصدقُ امرأة من بناته أكثر من اثنتي (١) عشرة أوقية " .

- وروى ابن حبان في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن من خير النساء أيسرهن صداقاً " (أي مهراً) .

- وأخرج أحمد والبيهقي مرفوعاً " أعظم النساء بركة أيسرهن صداقاً " . (أي مهراً) .

- وذكر الأوسى في تفسيره حديثاً روته السيدة عائشة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " يُمنُ المرأةُ تسهيل أمرها في صداقها " .

وذهب كثير: من أهل الحديث ، والشافعي ، وأحمد بن حنبل أن المهر يجوز بقليل المال وكثيره .
والذين ذهبوا إلى تحديد المهر كفقهاء الحنفية قالوا : " أقل المهر عشرة دراهم " أو ما يساويها . .
ولو نحن استقرأنا التاريخ ، وتقينا عن أخبار السلف . . لرأينا العجب العجيب في التساهل بالمهور ، واختيار الزوج الكفء الصالح . .

واليكم - أيها الآباء - طاقة من مآثرهم ، وحسن فعالهم :

* لما نزل قوله تبارك وتعالى : ﴿ وَأَنْكَحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنَّ يَكُونُوا فُقَرَاء يُغْنِيهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [النور : ٣٢] .

امتثل النبي صلى الله عليه وسلم أمر ربه فاختر لابنته فاطمة رضي الله عنها صاحب الدين والخلق والشجاعة علياً كرم الله وجهه ، وكان صداقها ما قيمته أربعة دراهم .

* وها هو ذا سعيد بن المسيب رضي الله عنه كبير علماء عصر التابعين ينزل عند أمر ربه ، ويقتدي برسول الله صلى الله عليه وسلم في اختيار الكفء دون أن ينظر إلى الجاه والمال ، فالذي اختاره ليكون زوجاً لابنته هو عبد الله بن أبي وداعة طالب العلم الفقير !! .

(١) أي اثنتي عشرة أوقية من فضة .. وهذا هو الحد الأعظم وقد يكون المهر أقل من ذلك ، والاثنتا عشرة أوقية تساوي اليوم من الغرامات ٣٤٠ غراماً على وجه التحديد . وهذا ليس بكثير .

ولنستمع إلى ابن أبي وداعة ليروي لنا هذا الزواج السعيد :

يقول : [كنت أجالس سعيد بن المسيب ، فتقعدني أياماً فلما أتيتّه ، قال : أين كنت ؟ قلتُ :

توفيت زوجتي فاشتغلت بها . قال : هلا أخبرتنا فشهدناها ؟

ثم أردتُ أن أقوم ، فقال : هلا استحدثت امرأة ؟ فقلتُ : يرحمك الله ومن يزوجني ، وما أملك

سوى درهمين أو ثلاثة ؟ فقال : أنا !! . فقلتُ : وتفعل ؟ فقال : نعم .

فحمد الله تعالى ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وزوجني على درهمين . . ثم قمتُ

وما أدري ما أصنع من الفرح ؟ فسرت إلى منزلي ، وجعلت أفكر ممن أستدين ؟ فصليت المغرب

وانصرفت إلى منزلي ، فأسرجتُ (أي أشعل السراج) فقدمتُ عشاءي وكان خبزاً وزيتاً ، وإذا بابابي

يقرع ، فقلت : من هذا ؟

قال : سعيد . ففكرت في كل إنسان اسمه سعيد إلا سعيد بن المسيب ، فظننت أنه قد بدا له

شيء . فقلتُ : يا أبا محمد لو أرسلت إلي لأتيتك . فقال : لأنت أحق أن توتي !! . قلت : فما تأمر

؟

قال : إنك كنت رجلاً عزيزاً فتزوجتَ فكرهت أن أبيتك الليلة وحدك ، وهذه امرأتك ، وإذا

هي قائمة خلفه في طوله ، ثم أخذ بيدها فدفعها في الباب ثم انصرف . .

فاستوثقتُ من الباب ثم تقدمت إلى القصة التي فيها الخبز والزيت فوضعها في ظل السراج لكيلا

تراه ، ثم صعدتُ السطح فرميتُ الجيران فجاءوني ، وقالوا : ما شأنك ؟

قلتُ : ويحكم زوجني سعيد بن المسيب ابنته اليوم ، وقد جاء بها الليلة على غفلة !! . فقالوا :

أو سعيد زوجك . قلتُ : نعم .

فنزلوا إليها ، وبلغ ذلك أمي ، فجاءت وقالت : وجهي من وجهك حرام إن مسستها قبل أن

أصلحها لك إلى ثلاثة أيام ، فأقمتُ ثلاثاً ثم دخلت بها ، فإذا هي أجمل النساء وأحفظ الناس لكتاب

الله ، وأعلمهم بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعرفهم بحق الزوج . .

ثم مكثتُ شهرًا لا يأتيني سعيد ولا آتية ، فلما كان بعد الشهر أتيتهُ وهو في حلقته فسلمت عليه
فرد عليّ السلام ولم يكلمني حتى تفرق الناس .

فقال : ما حال ذلك الإنسان . فقلتُ : بخير يا أبا محمد . . ثم انصرفتُ إلى منزلي، فوجه إلى
بعشرين ألف درهم [. .] .

قال " عبد الله بن سليمان " : وكانت بنت سعيد هذه قد خطبها الخليفة عبد الملك بن مروان
لابنه الوليد حين ولّاه العهد ، فأبى سعيد أن يزوجه إياه مع وفرة الغنى والجاه . .

* والإمام السمرقندي الفقيه الحنفي صاحب كتاب " تحفة الفقهاء " شرح تلميذه " علاء الدين
الكاساني " تحفته ، فزوجه الإمام ابنته على صداق يسير ، دراهم معدودات . .

* ومن المواقف التي كان يقفها العلماء أمام العامة في غلاء المهور موقف أبي بكر بن اللباد رحمه
الله .

لما ترجم ابن الدباغ في " معالم الإيمان " العالم القيرواني الشيخ أبي بكر محمد بن محمد بن اللباد
المتوفى سنة ٣٣٣ هـ قال في (٣ صفحة ٢٥) : [حكى أن رجلاً شور (أي أمهر) ابنته بشوار كبير
حسن عجيب ، فعجب الناس ، وحضر أبو بكر بن اللباد ، فانصرف الناس ليهتئوا صاحب الشوار فقال
له أبو بكر :

لا أخلف الله عليك بخير !! .

فقد أكدت جارك (أي أحزته) . وأعضلت ابنته (أي سببت كسادها) . وخالفت سنة
رسول الله صلى الله عليه وسلم . . [اهـ .

والذي أخلص إليه بعد ما تقدم . . .

أن الحل العملي الذي يرتئيه الإسلام لمشكلة المغالاة في المهور هو أن يقدر الآباء
والأولياء . . مصلحة المجتمع من الفساد ، ومصلحة الشباب من الانحلال ، ومصلحة البنات من
السقوط . . ثم ينهجوا نهج السلف الصالح في تساهلهم بالمهور ، واختيار الخاطب المؤمن ، والقرين

الخلق .. لبناتهم .. تنفيذاً لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم القائل : "إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض" [راوه الترمذي] .

فحذار - أيها الآباء والأمهات - أن تكونوا سبباً في إعضال بناتكم وكسادهن حتى لا يعشن في المجتمع عازبات عانسات ..

تساهلوا بالمهور حتى يجد الشباب الطريق إلى الزواج مذلاً سهلاً ..

فتشوا عن الخاطب الصالح ، والزوج المسلم .. تأسيًا بالسلف الصالح عسى أن تروج في المجتمع سوق الزواج ..

إنكم إن فعلتم ذلك فستكونون قد أَرْضِيتُم ربكم ، وفذتم سنة نبيكم وأقذتم المجتمع من برائن الفساد والانحلال ، وخلصتم الشباب والشابات من داء العزوبة البغيضة ، والرهبانية الأليمة .. والله سبحانه لن يترككم أعمالكم ..

إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض !! .

" ٢ " المبالغة في تكاليف الزواج

ومن هذه العقبات المبالغة في تكاليف الزواج ، وهي مهر آخر يقدم للزوجة ، ونفقات ثقيلة يعجز عن تحملها الخاطب في كثير من الأحيان ، وهي من أعرافنا الاجتماعية المستحكمة التي ما أنزل الله بها من سلطان ..

فمن هذه التكاليف : هدايا الخطبة ، وهدايا المواسم والمناسبات ، وهدايا صبيحة العرس .. ، ونفقات حفلات العقد ، ونفقات حفلات الزفاف ، ونفقات المهنيين في اليوم الثالث ، عدا إقامة الولائم ، وذبح الذبائح في الأيام التي تلي صبيحة العرس .. إلى غير ذلك من هذه التكاليف التي يحسب لها الخاطب ألف حساب ..

فالحاطب ذو الدخل المحدود ، والراتب المقطوع حين يرى هذه الإرهاقات من المطالب ، وهذه الكثرة من النفقات - عدا عما يقدمه من مهر - يفضل أن يعيش في تقلبات العزوبة الأليمة وحيداً منفرداً منطوياً على نفسه ، بعيداً عن مجتمعه . . لكونه لم يجد من الذين يتقدم للزواج منهم عطفاً ولارحمة ، ولم يلقَ من أولياء المخطوبة إنصافاً ولا عدلاً !! . .

ماذا يفعل هذا الموظف صاحب المرتب المحدود ، وهذا العامل ذو الأجرة المتواضعة . . إن أرادوا نكاحاً ، أو تقدموا لخطبة ؟

ومن أين يأتون بالمال لسدّ هذه النفقات ، وتقديم هذه الهدايا ، والقيام بهذه التكاليف ؟
إن كثيراً من هؤلاء الشباب يريدون أن يعصموا أنفسهم من الانزلاق ، ويحفظوا أخلاقهم من المفاسد . . وذلك بالزواج الذي شرعه الله . . ولكن هذه الإرهاقات في المطالب ، وهذه الكثرة في التكاليف . . تحول بينهم وبين الزواج . . ومعنى هذا أنهم تقلّبوا في حماة العزوبة الذميمة . . فإن لم يكن لهم من تقوى الله رادع . . فإنهم يكونون سبباً في انتشار الزنى ، وفشو المنكرات ، وازدياد الجرائم الخلقية . . ولا شك أن المجتمع سيُمنى بنكسة إباحية ، وأن الأمة ستصاب بوصمة التحلل والمجون !! . .

ومن أين أتى الناس بهذه العادات من النفقات التي فرضتها أعراف المجتمع ؟ ومن أين اعتادوا هذه التكاليف التي ما أنزل الله بها من سلطان ؟

إنها وليدة تقليد أعمى طغى على المنطق والعقل والحق . .
إنها من أحابيل الشيطان ليوقع في شراكها ضعفاء النفوس وفاسدي الضمائر . .
إنها لا تمت إلى الأخلاق بصلة ، ولا تلتقي مع التسامح الاجتماعي بنسب . .
إنها إن بقيت متحكمة متسلطة . . . فستكسد حتما سوق الزواج ، ويستفحل داء العزوبة ، وتستشري في المجتمع أخطار الزنى ، وموبقات الرذيلة . .

الإسلام - أيها الآباء والأمهات - لم يشرع في نفقات العقد والزفاف سوى المهر للمرأة ، والوليمة لحفلة العرس ، وإكرام الضيف بما يناسب الحال . .

أما ماعداها من هدايا ونفقات وتكاليف . . فإنها ليست من قبيل الفرض والتحريم ، وليست من شروط العقد والنكاح في شيء . . وإنما تعود إلى حرية الخاطب ، ويسره المالي ، وحالته المادية . . فإن رأى نفسه في حالة يسر ، وأراد أن يقدم لمخطوبته شيئاً من الهدايا في المواسم ، أو أن يقدم للمدعويين في حفلة زفافه وقرانه شيئاً من الحلوى . . فله ذلك على أن لا يبلغ به الأمر حد السرف ، والتظاهر بمظهر التفاخر والتباهي . . لأن هذا من قبيل إكرام الضيف والنبي أمر بإكرام الضيف ، وجعل إكرامه من علامات الإيمان : " مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ " .

فيا أيها الأولياء والآباء والأمهات :

ارجعوا إلى الدين الحق ، والإسلام الصحيح ، والعقل الرشيد ، والسنة النبوية . . في نبذكم هذه الأعراف التي ما أنزل الله بها من سلطان . . ووقوفكم أمام هذه الموجة العاتية من التكاليف المرهقة التي لم يأمر بها الإسلام . . وهذا هو الحل الوحيد في ترويح سوق الزواج في مجتمعنا المسلم . . فإذا أردتم لبناتكم السعادة ، ولجتمعكم السلامة ، ولأخلاق أمتكم الحصانة . . ففتشوا عن الخاطب المسلم ، والزوج الصالح . . وتساهلوا معه في المهر والتكاليف . . وزيجوا من طريق الزواج ، وتكوين الأسرة . . عقبات التغالي في المهور ، والتفاخر بالهدايا والأثاث والقشور . .

والله سبحانه سيجزيكم خيراً ، ويدخرلكم في القيامة أجراً . .

﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ﴾ .

﴿ إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض ﴾ .

" ٣ " عائق الدراسة

ومن العقبات التي تقف في طريق الزواج " عائق الدراسة " ، وهو حجة يتذرع بها كثير من شبابنا المثقف ، ويقفون أمامها مذهولين حائرين لا يدرون ماذا يفعلون ؟ ولعل الحجج التي يتذرعون بها في عائق الدراسة هي :

١ - مشكلة المال والنفقة .

٢ - الزواج مشغلة عن الدراسة .

٣ - الخجل في مصارحة الأهل .

تلكم أهم الأسباب التي يتذرع بها شبابنا المثقف في انصرافهم عن الزواج أثناء تقلبهم على مراحل الدراسة الجامعية والعالية . .

ولكن ماهي الحلول العملية التي تذلل لشبابنا هذه العقبات ؟ وما هي الطرق الإيجابية التي تسهل لهم أسباب الزواج ؟

فلنتحدث عن تذليل كل عائق من هذه العوائق التي يتذرع بها شبابنا . . .

١ - مشكلة المال والنفقة :

الولي المسؤول عن تربية الولد وتعليمه . . إما أن يكون ميسوراً من الناحية المادية ، وإما أن يكون غير ميسور .

فإن كان ميسوراً فينبغي أن يساهم مساهمة فعالة في تسهيل أسباب زواجه لينقذه من الهواجس النفسية ، والتأملات الجنسية التي تسيطر على عقله وتفكيره ، وتقف عائقاً في طريق تحصيله وتعليمه . . أو لينقذه من الانحلال الخلقي الذي يفتك بصحة ويسيء إلى سمعته . . وذلك بأن يسهل له أسباب الزواج من ناحية ، ويهيء له أسباب النفقة أيضاً من ناحية أخرى .

وكل تهاون أو تقصير في هذه السبيل يعرض ولده الشاب إلى أوخم النتائج ، وأخطر العواقب !! ..

وكثيراً ما نسمع عن آباء أغنياء ميسورين يبخلون في تقديم المساعدات المادية والمعنوية لأبنائهم ، متذرعين بأن أبناءهم بلغوا السن التي تسقط عنهم تقديم المعونة ، ووجوب النفقة . . ولكنهم لو دروا أن المال الذي يقدمونه هو بمثابة قوارب إنقاذ مما يعانونه من اضطراب بالتفكير وفساد في الخلق ، وقلق في النفس . . لما مجلوا وتقايسوا في تقديم أقصى المؤازرة ، وتيسير أسباب الزواج ! ! .

ولماذا يبخل الأب الميسور عن ولده ، ولماذا لا ييسر له طريق الزواج ؟

هل سيخلد في الحياة ؟

هل المال الذي مجوزته سيأخذه معه إلى الآخرة ؟

إنه سيموت لا محالة ، وسيوضع في حفرة صغيرة ليس فيها أثاث ولا رياش ولا زينة، وسيؤول

المال إلى ورثته لا محالة . .

إذن فليجد الأب الموسر بماله ، ولينفق مما جعله الله مستخلفاً فيه ، وليبدأ بنفسه ثم بمن يعول ، وليُسعَ جهده في تسهيل أسباب الزواج لولده ، وليستمع إلى ما يقوله عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي رواه مسلم : " دينار أنفقته في سبيل الله ، ودينار أنفقته على رقبة ، ودينار تصدقت به على مسكين ، ودينار أنفقته على أهلك ، أعظمها أجراً ما أنفقته على أهلك " .
والله سبحانه لا يضيع أجر من أحسن عملاً .

وان كان الولي غير ميسور فعلى العلماء المخلصين وأرباب الدعوة إلى الله ، ورجال الإصلاح . . أن يشكّلوا في كل بلد جمعيات تعاونية وتكافلية . . يكون من أولى أهدافها ومهامها تسهيل سبل الزواج للطبقة المثقفة ، والسواد الأعظم من أصحاب الدخل المحدود ، والأجرة المتواضعة . . حتى يتيسر للجميع حياة شريفة فاضلة ، وعيش كريم طيب ، وذرية صالحة سعيدة . . عدا عن الإعانات المالية التي يجب أن تسهم بها الدولة لراغبي الزواج من الشباب الذين يتممون تحصيلهم ، ويكملون دراستهم . . تشجيعاً لهم ، وحفاظاً على أخلاقهم ، سلامة عقولهم وتفكيرهم . .

وينبغي ألا تغفل دور الأغنياء في بذلهم وسخائهم . . . وتقديم أقصى ما يمكن تقديمه لهؤلاء الشباب الذين يريدون أن يعصموا أنفسهم بالزواج ولكن لا يجدون نكاحًا لفاقتهم وفقدهم . . .
ألم الله أغنياء في كل بلد لينهضوا بسؤوليتهم ، ويقوموا بدورهم . . . اللهم آمين .

٢ - أما الزواج مشغلة عن الدراسة :

فهي حجة يتذرع بها البعض ولكن الواقع يكذبها ويقدم الدليل على بطلانها . . . فقبل إتمام تحصيلي العلمي في الأزهر الشريف كنت ممن يقولون إن الزواج مشغلة كبرى عن الدراسة ، وعقبة كؤود في صرف المتعلم عن التعليم . . . ولكن حين تزوجت قبل إنهائي للدراسة بعامين تقريبًا غيرت رأبي السابق ، ووجدت ان الزواج من أكبر العوامل التي تهيبء لطالب العلم الجو الفكري ، الاستقرار النفسي ، والحياة الهائئة السعيدة . . . فكنت قبل الزواج أقضي كثيرًا من وقتي في غسل الثياب وتهيئة الطعام ، وتنظيم البيت . . . وغير ذلك من الأعمال التي يحتاجها الغريب ، وتطلبها الحياة فأصبحت بعد الزواج لا أشغل بمثل هذه الأعمال الضرورية ، والحاجات البيئية . . . إذ توفرت لي أسباب الدراسة كاملة ، وتهيأ لدارستي الجو الملائم لأغرف من معين العلم ، أنهل من منبع الثقافة . . . وتمنيت فعلا أن أكون متزوجًا من أول يوم تدرجت فيه بطلب العلم ، والعب من معين الثقافة . . . عدا عن أن تفكيري سلم من جميع الهواجس الشيطانية ، والوساوس النفسية . . . التي تشغل بال الشاب العزب ، وتصرفه عن إعداده الروحي والعلمي والخلفي .

وفي الحقيقة لست وحدي في نجاح هذه التجربة . . . وإنما شاركني فيها كل زملاء الذين تزوجوا وهم طلاب ، ودخلوا عتبة الزواج وهم في مراحل الدراسة الجامعية . . . وإن كان البعض يشكو من إزعاج أولاده الصغار . . . وفي تقديري لو كانت الزوجة تنهض بمسؤوليتها كاملة نحو أولادها لما انبعث هذه الشكوى ، ولما كان هذا الإزعاج !!

فالزواج إذن عامل هام في تهيئة الجو الدراسي الملائم لطالب العلم ، وفي سلامة فكره وهواجسه من التخيالات العابثة ، والتأملات الهابطة . . . وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم القائل فيما رواه

الطبراني والحاكم والبيهقي : " من رزقه الله امرأةً سالحة فقد أعانه على شطر دينه ، فليثق الله في الشطر الباقي " .

٣ - أما التذرع بالخجل في مصارحة الأهل بضرورة الزواج :

فإنه حجة واهية ، فالإسلام لا يقرها ، ولا يعترف بها ، بل يحمل مسؤولية هذه الحجج الأب نفسه ، لكونه لم يأخذ بمذهب الإسلام في تربية الولد النفسية . . هذا المنهج يقوم أسسه أول ما يقوم على الصدق والصراحة والجرأة الأدبية .

فالأبوان المفرطان في تدليل الولد ينشأ ولدهما على الخجل الشائن ، والانكماش الذميم ، والانطواء البغيض . . بل يشبّ الولد على العزلة ، ويتربى على الانفرادية ، والانحباس بين جدران البيوت دون أن يشعر به أحد ، أو يعترف على أحد . .

أين هذا من سيرة السلف الصالح في التربية ؟ وأين أخلاقنا من أخلاقهم في تعويد الأولاد على الجرأة والصراحة والصدق ؟ .

- يحدثنا التاريخ أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرّ على جمع من الصبيان يلعبون ، فحينما رأوا عمر فرّوا هيبة منه سوى الصبي عبد الله بن الزبير .

فقال له عمر ممتحنًا : لماذا لم تقرّ كما قرّ رفاقك ؟

فقال له عبد الله بجرأة وأدب وصراحة : لست جانيًا فأقرّ منك ، وليس في الطريق ضيق فأوسع

لك . .

فشكر له عمر جوابه : وأعجب بموقفه وصراحته ! ! . . .

- ودخل على عمر بن العزيز رضي الله عنه في خلافته وفود المهنيين من كل جهة ، فتقدم من

وفد الحجازيين غلام صغير لم تبلغ إحدى عشر سنة .

فقال عمر : ارجع أنت ، وليقدم من هو أسنّ منك ! ! .

فقال الغلام : أيد الله أمير المؤمنين ، المرء بأصغريه : قلبه ولسانه ، فإذا منح الله العبد لساناً
لافظاً ، وقلباً حافظاً ، فقد استحق الكلام ، ولو أن الأمر - يا أمير المؤمنين - بالسن لكان في الأمة من
هو أحق بمجلسك هذا !! ..

فنعجب عمر من كلامه وأنشد :

تعلم فليس المرء يولد عالماً ليس أخو علم كمن هو جاهل
وإن كبير القوم لا علم عنده صغير إذا التقت عليه الحافل

- ومما تناقلته كتب الأدب أن صبيًا تكلم بين يدي الخليفة المأمون فأحسن الجواب .

فقال له المأمون : ابن من أنت ؟

فقال الصبي : ابن الأدب يا أمير المؤمنين !! .

فقال المأمون نعم النسب ، وأنشد يقول :

كن ابن من شئت واكتسب أدباً يغنيك محموده عن النسب

والأمثال على الجرأة كثيرة أكثر من أن تحصى ..

ويا ليت الآباء والمربين يعودون أولادهم عليها منذ نعومة أظفارهم .. حتى يعتادها ويشبوا عليها

في حياتهم الاجتماعية !! ..

وماذا يضير الشاب إذا صارح أباه بضرورة الزواج ، وأسّر له بالحاجة الماسة إليه ؟ أيكون في

ذلك مرتكباً إثماً ، ومقترفاً منكرًا ؟

وماذا يضير الأب إذا صارح ولده الشاب بالزواج ؟ أيكون في ذلك متجاوزاً حدود التربية ،

وخارجاً على الأوامر الشريعة ؟

أيها الآباء :

اغرسوا في أبنائكم حبّ الصدق ، وفضيلة الصراحة ، وخلق الجرأة الأدبية ، ليعشوا في الحياة

بروح الواقع ، ويمشوا مع الواقع بمتطلبات الفطرة !! .

وأتم يا شباننا المثقف :

تعلموا الجرأة في الحق ، والصراحة في القول . . ولا تتحكم فيكم عادات ليست من الإسلام ، ولا تسيطر عليكم أعراف ما أنزل الله من سلطان !!

فالحياء الصحيح أن تستحيوا من محارم الله ، والنجل المحمود أن ينجل الإنسان من اقتراف المعصية ، وارتكاب الذنب . .

أما ما عدا هذا فهو مرض نفسي يجب معالجته ، وطلب الاستشفاء منه ^(١) .

وأخيراً أقول :

يا شباننا إذا تسرت لكم الموارد المالية فسيروا في طريق الزواج . .
فالزواج خير عاصم لأخلاقكم ، وخير معين لدراسكم ، وخير سكن لنفوسكم . . وصدق الله العظيم القائل : ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ﴾ [الروم : ٢١] .

" ٤ " الإرواء الغريزي غير المشروع

الشباب في هذه الحياة التي استفحل مجونها ، واستشرى انحلالها . . لا يشعر الرغبة بالزواج ، ولا يجد الحاجة الملحة إليه حتى توصل أمامه جميع الأبواب التي تسهل له ارتكاب الفاحشة ، وتعلق دونه كل السبل التي تزين له اقتراف الزنى . . وبعد هذا يفكر عملياً بزواج شرعي يروي به غريزته الجنسية التي جُبل عليها ، ويهتم كلياً بامرأة تكون له قرينة العمر ، وزوجة الحياة . . ليخفف عن نفسه ثورة الشهوة ، وجموع الغريزة . . وحده الميل إلى الجنس الآخر وإن المستقرى لتاريخ الإسلام ، والمتأمل في سيرة السلف الصالح يجد أن الإقبال على الزواج كان في سن مبكرة ، وفي ريعان الشباب ، وذلك للأسباب التالية :

(١) ارجع إلى كتابنا " تربية الأولاد في الإسلام " القسم الثاني : بحيث " مسؤولية التربية النفسية " فإن المعالجة الإسلامية لظاهرة الخجل .

١ - امتثالاً لأمر رسوا الله صلى الله عليه وسلم القائل : " يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج " .

٢ - استجابة لمتطلبات الغريزة ، وأشواق الفطرة ، وأنه لا رهبانية في الإسلام .

٣ - لعدم وجود مغريات تزين للشباب طريق الفاحشة ، وأوْكارٍ تدفع بالناس إلى اقرار الزنى في المجتمع الإسلامي .

٤ - لإقامة حدّي الزنى والقذف في أمة تحتكم إلى القرآن ، وتستهدي بأحكام الشريعة . .

تلكم أهم أسباب التي دعت الشباب المؤمن عبر العصور الإسلامية أن يُقبلوا بجد وشغف على الزواج ، وأن يعصموا أخلاقهم به ، وان يصونوا المجتمع الإسلامي من عوامل المجون والانحلال ، ومظاهر الفساد والانحراف . .

أما اليوم - ويا للأسف - فنجد أن كثيراً من الشباب الذين ينتمون إلى الإسلام قد أحجموا عن الزواج ، وابتعدوا عنه بسبب الظواهر الانحلالية التي طغت على المجتمع ، والمفاسد الاجتماعية التي استشرت في كل بلد ، واستفحل خطرهما في كل أمة . .

- كيف يفكر الشاب بالزواج ، وها هي ذي أبواق إبليس تناديه : هلم إلى الرذيلة . . إلى إشباع الغريزة إلى سوق الملذات . . فأنت شاب في مستقبل العمر ، وفي ريعان الشباب . . فاعبث كما يعبث الشباب ، وتقلب في حمأة الرذيلة كما يتقلب الشباب !؟ .

- كيف يفكر الشاب بالزواج وها هي ذي اللوحات السينمائية تثير انتباهه إلى التطلع العارية ، والكلمات الفاتنة المثيرة . . لينساق بكليته بعقل أو بغير عقل إلى سوق الملذات ، وحياة المجون والخلاعة . . ؟

- وكيف يفكر الشاب بالزواج ، وجنود إبليس يرصدون طريقه ، ودعاة إلى أبواب جهنم يتحلقون حوله ، ويحيطون به . . وإذا بالشباب انقاد للفتنه واستسلم للميوعة ، وعزف عن الزواج ؟

لماذا ؟ لأنه وجد ما يشبع غريزته الهابطة في الحرام ، ورأى ما يلبي غريزته البهيمية في الفاحشة !! ..

نعم ! . إن الإرواء الغريزي غير المشروع يعد في نظر الاجتماعيين ، وعلماء التربية والأخلاق . . من أعظم العقبات التي تقف في طريق الزواج ، والتي تحول بين الشاب وبين اختيار حليمة له ، تكون سكناً لنفسه ، وأماً لأولاده ، وعصمة لأخلاقه !! .

إن الشاب حينما يتلفت يمنة ويسرة ، ويجد ميسراً لديه كل ما تتطلبه الغرائز من إرواء و الشهوات الحيوانية من إشباع . . يتساءل لماذا أتزوج ؟ ، ولماذا أتحمّل مسؤولية الأسرة والأولاد ؟ ولماذا أعكر صفواً أيامي ، ولذة حياتي بالهموم والمسؤوليات والأعباء ؟ !! .

وبعد هذا التساؤل يفضل حياة العزوبة على حياة التزوج . . خائضاً في سوق اللذة، مترنحاً على أبواب المواخير ، متقلّباً في أحضان المومسات !!

دون أن يزرجه زاجر من دين ، أو رادع من ضمير . . طارحاً وراءه كل ما يتطلبه إنسان شريف من مثل أعلى ، وكل ما ينشده شبابي طاهر من أدب رفيع !!

أجل ! . . إن الأضرار التي تنتج عن انتشار الزنى ، وتفشي الفاحشة لأضرار بالغة خطيرة - كما مرّ - لا تقتصر على كساد سوق الزواج فحسب ، وإنما تشمل انحلال المجتمع ، واختلاط الأنساب ، وانتشار الأمراض الجسمية والنفسية ، وفقدان الغيرة والشرف ، والتحرش بالأعراض والحرمات ، والسير بالأمة نحو إباحية داعرة ، ووجودية فاجرة . .

وثمة أمر آخر يجدر التنبيه له ، والإشارة إليه أن ظاهرة الميوعة والانحلال المتفشية في المجتمعات الإسلامية في كل مكان هي من صنائع اليهود ، وتخطيط الاستعمار والصليبية والماسونية والشيوعية . . ليفرضوا سلطانهم على بلاد الإسلام ويصرفوا شباب العقيدة الإسلامية عن الجهات المرسومة للكفاح والجهاد وعن استرجاع دولة الإسلام تحت راية القرآن وشعار العزة . . وبهذا تفقد الأمة الإسلامية كل مقومات وجودها ، وأسباب عزتها وبقائها . . فتصبح هدفاً لكل مستعمر ، ومطعماً لكل مغير . .

ولكي يعرف الشباب الحقيقة بأجلى معانيها نسوق إليهم طاقة من أقوال أعداء الإسلام ليعلموا أن هذه الظاهرة الانحلالية في المجتمعات الإسلامية هي من تخطيطهم وصنائعهم :

- لما قيل " لكارل ماركس " الشيوعي : ما هو البديل عن عقيدة الألوهية ؟

قال : البديل هو المسرح ، اشغلوهم عن عقيدة الألوهية بالمسرح . .

وما أدرك ما المسرح ، إذا وُجِّه محاربة العقيدة الربانية والأخلاق ؟

- ويقول أحد أقطاب المستعمرين :

" كأس وغانية تفعلان في تخطيط الأمة المحمدية أكثر مما يفعله ألف مدفع ، فأغرقوها في حبّ المادة

والشهوات " .

- وما قاله القس " زويمر " في مؤتمر المبشرين في القدس :

" إنكم أعددتُم نشأً في ديار المسلمين لا يعرف الصلة بالله ، ولا يريد أن يعرفها . . وبالتالي جاء

النشء الإسلامي طبقاً لما أَرادَه له الاستعمار ، لا يهتم بالعظائم ، ويجب الراحة والكسل ، ولا يصرف

همّه في دنياه إلا في الشهوات ، فإذا تعلّم فللشهوات ، وإذا جمع المال فللشهوات ، وإذا تبوأ أسمى المراكز

ففي سبيل الشهوات " .

- وجاء في " بروتوكولات حكماء صهيون " ما يلي :

" يجب أن نعمل لتنهيار الأخلاق في كل مكان فتسهل سيطرتنا ؛ إن " فرويد " منا ، وسيظل

يعرض العلاقات الجنسية في ضوء الشمس في نظر الشباب شيء مقدّس ، ويصبح همّه الأكبر هو إرواء

غرائزه الجنسية ، وعندئذ تنهار أخلاقه . . . " .

ومما قاله " فرويد " النمساوي اليهودي :

" على الإنسان أن ينطلق في ميدان الغريزة محطماً القيود الأخلاقية ، والضوابط الاجتماعية التعي

تحول دون الانطلاق " لأن كبت الشعور بالغرائز - في نظره - هي من أعظم اعلل النفسية والعصبية ،

وأن غريزة النوع هي المؤثر الأول في الحياة البشرية ، وأن جوانب النشاط الإنساني ثمرة من ثمراتها .

قتبين مما سقناه من مخططات أعداء الإسلام على بلاد الإسلام أن الذين يجرون وراء الزنى ،
والإلحاد ، والتخنفس ، والخمر ، والقمار ، والانحلال ، والعهر . .

من شبابنا وشاباتنا ما هم في الحقيقة إلا متفدون من حيث يعلمون أولاً يعلمون مؤامرات اليهودية
والصليبية ومخططات الماسونية والشيوعية . . .

ألا فليعلم الشبان المخدوعون هذه الحقيقة . . .

ألا فليعلم الكهول ، والمربون ، والآباء ، وأرباب الفكر من المنصفين والمخلصين . . ماذا يريد
أعداء الإسلام لجيل الإسلام وشباب الإسلام ، وفتيات الإسلام ؟ !! .

وإذا كانت ظاهرة الميوعة والانحلال متفشية في بلاد الإسلام في كل مكان . . فمن عن نفسيها ؟
ففي تقديري أن الأمة الإسلامية على اختلاف أجناسها وألوانها وطبقاتها من أكبر حاكم إلى
أصغر محكوم هي المسؤولة أولاً وآخرًا عن المفاصد القائمة ، والمنكرات المتفشية . .

الحاكم هو المؤول الأول باعتبار سلطته القوية وقدرته على جلب المصالح ، ودرء المفاصد . .
وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم القائل : " الإمام راع ومسؤول عن رعيته " .

ورضي الله عن عثمان الخليفة الراشد حين قال : " إن الله ليزعج^(١) بالسلطان ما لم يزعج بالقرآن " .

والأمة المحكومة مسؤولة لأنها لم تقف من هذه المنكرات والفواحش موقف المغير والمبدل !!
ولم تقم بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حق القيام ، ولم تكافح هذا الفساد الاجتماعي
حقيقة المكافحة ، ولم تثبت وجودها في إزالة الفحشاء ، واستئصال جذور الميوعة والمجون !! .

وهذه المسؤولية الاجتماعية في مكافحة الفساد قد حدّد معالمها نبي الإسلام صلوات الله وسلامه
عليه حين قال : - كما روى البخاري - : " مثل القائم على حدود الله والواقع فيها ، كمثل قوم استهموا
(اقترعوا) على سفينة فأصاب أعلاها ، وبعضهم أسفلها ، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء

(١) يزج: يزجر ويودب .

مروا على من فوقهم وقالوا : لو أنا خرقتنا في نصيبنا خرقتا ولم نؤد من فوقنا فإذا تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً ، وإذا أخذوا على أيديهم نجوا نجوا جميعاً " .

فإن أهلكها الله فبعد له هلكت : ﴿ وإذا أردنا أن نهلك قرية ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً ﴾ [الإسراء : ١٦] .

وإن عاقبها الله فبذنبها عوقبت : ﴿ واتقوا فتنةً لا تُصيبنَّ الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب ﴾ [الأنفال : ٢٥] .

ولكن . . . ما هي العلاجات العملية للتخلص من هذا الداء الوبيل ؟ وما هي الطرق الإيجابية لنجاة الأمة من كابوس أليم يجثم على صدرها ، ويفسد أخلاق أبنائها ؟ .

العلاج يتعلق بمسئوليتين :

أ – مسؤولية الدولة :

١ – أن تمتنع من الأسواق والمكاتب بيع المجالات الخلاعية والقصص الجنسية ، والصور

العارية . . .

أن تمتنع من الإذاعة والتلفاز الأغاني الخليعة ، والألحان المثيرة ، والتمثيلات الماجنة . .

وأن تمتنع من صالات العرض والمسارح المسرحيات المائعة ، والرقص العاري ، والأفلام

الماجنة . . .

٢ – وأن تشدد المراقبة على من يتعاطون البغاء السري ، وذلك بث عيون ساهرة أمينة في

الأماكن المشبوهة ، والضرب بيد من حديد على كل من تسول له نفسه فتح أوكار للدعارة ، وأقبية

لتعاطي الفحش والخننا . .

٣ - وأن تسخر وسائل الإعلام في تحذير الأمة على اختلاف مستوياتها مغبة الولوغ في الفاحشة وما يترتب على انتشارها من أخطار صحية ونفسية واجتماعية وأخلاقية واقتصادية!! . عسى أن يفهم الناس هذه الأخطار ، ويقدرّوا عواقبها الوخيمة . .

ب - مسؤولية المجتمع :

١ - أن ينهض أبناء المجتمع بمسئوليتهم كاملة في حراسة الرأي العام الذي يتمثل بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهذه الحراسة مسؤولية اجتماعية لا يفلت منها أحد ، لقوله تبارك وتعالى : ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم ﴾ [التوبة : ٧١] .
ولقوله عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي سبق قبل قليل ذكره : " مثل القائم على حدود الله والواقع فيها " .

وهذه الحراسة للرأي العام قائمة على ثلاث مراحل :

الأولى : التغيير باليد وهذا أقوى الإيمان .

الثانية : التغيير باللسان وهذا أوسطه .

الثالثة : التغيير بالقلب وهذا أضعفه

للحديث الذي رواه مسلم : " من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان " .

والتغيير بالقلب لا يكفي أن يقول حين يرى المنكر : " اللهم إن هذا منكراً لا أرضى به ولا أقدر على رده " ، بل يجب عليه مع هذا القول أن يقاطع أهل المنكر ويهجرهم في الله . . .
وإلا فإنه يكون أثماً !! .

٢ - إذا رأى منكراً ظاهراً في مكان ما فعليه أن يستعين بالسلطة أولاً . . فإن لم تستجب السلطة فعليه أن يسعى إلى تغييره بالتدرج ما استطاع إلى ذلك سبيلاً .

والتدرج بالتغيير قد بين مراحلہ الإمام الغزالي في إحيائه : " فيبدأ بالتعرف على المنكر ابتداء من غير تجسس ، ثم تعريف فاعل المنكر بأنه منكر ، ثم النهي بالوعظ والإرشاد والنصح والتخويف بالله تعالى ، ثم التعنيف بالقول الغليظ لمن لا ينفع فيه النصح والإرشاد ، ثم التهديد والتخويف بقول المنكر لأفعلن كذا وكذا ، ثم التغيير باليد ككسر الملاهي ، وخرق زقاق الخمر ، ومنع الاعتداء على الناس . . ثم تغيير المنكر بالجماعة وغيرها من غير سلاح ، وهذا جائز ، للأحاد للضرورة والاقتصار على الحاجة وشرط أن لا يترتب عليه فتنة بين الناس ، ثم تغيير المنكر بالجماعة . . بالسلاح ، ولا يستقل به الأفراد لأنه يؤدي إلى مزيد من الفتن ، وهيجان الفساد ، وخراب البلاد . . . " (١) .

٣ - الاستنكار القوي من جميع طبقات الشعب ولا سيما العلماء وجماعات الدعوة إلى الله . . وأرباب الصحف والأقلام . . . حول ما يقع في المجتمعات الإسلامية من ظواهر الفحش والخنا والإباحية . . سواء أكان هذا الاستنكار على صعيد خطب الجمعة ، أو بطبع نشرة ، أو بإلقاء محاضرة ، أو بتقديم عريضة ، أو إرسال وفود . . أو نحوها .

فإذا قامت الدولة بمسئوليتها ، والمجتمع بمسئوليته . . فنكون قد استأصلنا من المجتمع أسباب الفساد والانحراف من ناحية ، وسهلنا لشبابنا وفتياتنا سبل الزواج من ناحية أخرى !! . وعندئذ يتوجه شبابنا بكليتهم إلى الزواج الكريم الميمون الذي به تتحقق سعادتهم ، وبسببه يعصمون أخلاقهم ، وبالاستقلال بظله يجدون في الحياة أمانهم الغالية ، وآمالهم الباسمة !!

فيا أيها الحكام والمحكومون :

إن كنتم تحرصون على أخلاق الجيل من أن تدنس ، وصحة الأمة من أن تنكس ، ورجولة الشباب من أن تنهار . . فليس أمامكم من سبيل سوى أن تأخذوا بهذه الحلول الإيجابية في الدفع إلى الزواج . . عسى أن نرى الأمة تحلت بالعفاف والطهر ، وأن نرى الشباب ولجوا روضة الزواج الوارفة . . لتستقر أحوالهم الصحية والنفسية والعقلية . .

(١) إحياء العلوم للغزالي ج ٢ ص ٢٩٢ مع بعض التصرف .

وفي هذا سعادة وأي سعادة ؟ !! .

" ٥ " قلة الأجور وغلاء المعيشة

إن السواد الأعظم من أبناء الأمة عمّال وموظفون ، والعامل والموظف مهما كان نوع العمل أو الوظيفة ذو مرتب محدود ، وأجرة متواضعة .

ومن هنا تعترض أمام العامل العزب أو الموظف العزّاب عقبات تتلوها عقبات في طريق زواجه ، وتتابه وساوس تعقبها وساوس في تكوين الأسرة ، وإنجاب الأولاد !! ..

نفرض أن العامل أو الموظف يتقاضى في أول تعيينه شهرياً من ٤٠٠ صفحة ٥٠٠ صفحة ل س . كحدّ وسط ، ونسلم أنه استطاع أن يدّخر من المرتب كل شهر من ١٠٠ إلى ١٥٠ ل س . فبعد ثلاث سنوات من توظيفه على أقل تقدير يمكن أن يوفر المهر اللازم ، ليقدمه إلى من يتساهلون معه بمهر وسط عادي معقول دون إرهاق في المطالب ، وتعقيد في التكاليف .. ولكن أين له السكنى ؟

بالآجار ، دونه خرق القتاد ، والعثور عليه ما يشبه المستحيل . . . بالشراء ، قيمة أقل دار في زماننا اليوم تساوي أربعين ألف من الليرات السورية أو يزيد ، مع الأهل ، إن تيسرت فمليئة بالمشاكل والتعقيدات . . وأخيراً وجد هذا العامل أو الموظف ضالته المنشودة في تأمين الدار بالآجار ، ودخل عتبة الزواج وأصبح رب أسرة . .

فما هي أهم النفقات الشهرية التي يجب أن ينفقها على أسرة كحدّ أدنى ؟ :

النفقات الشهرية	ليرة سورية
أجرة دار	١٢٥
غذاء	٢٠٠
كسوة	٥٠
ماء وكهرباء	٢٠
علاجات طبية	١٥
المجموع	٤١٠

أضف إلى ذلك غلاء المعيشة وارتفاع الأسعار يومًا بعد يوم ، وتكاثر الأولاد سنة بعد سنة ، وما يحتاجونه من نفقات الكسوة والطعام والعلاج والدراسة .

فإن كان العامل أو الموظف يتقاضى أول تعيينه - كما سبق ذكره من ٤٠٠ إلى ٥٠٠ ل س . - فكيف يفكر بتكوين الأسرة وإنجاب الأولاد بعد إحصائنا الدقيق للحد الأدنى لنفقات العامل أو الموظف الشهرية . . مع العلم أن كثيرًا من العمال يتقاضون شهريًا أقل من ٤٠٠ ل س . بعد استقرارنا للواقع . هذه هي المشكلة الكبرى التي تعترض شبابنا العمالي والوظيفي اليوم ، وهذه هي العقبة الكأداء التي تقف في طريق أمنيتهم بالزواج !! .

ولكن الإسلام :

لم يقف مكثوف اليمين أمام هذه الطبقة الكادحة البائسة من الناس ، ولم يهمل شأنها ، ولم يتغاض عن حقها . . وإنما وضع من المبادئ الصحيحة ، والأسس الحكيمة ما يحقق لها سعادتها واستقرارها ، ويوطد لها حياة التكافل ، والعيش الهانئ الرغيد . .

* فمن المبادئ التي وضعها الإسلام : التعجيل في إعطاء أجره العامل :

لما يترتب على تسوية إعطاء الأجر من امتنان الكرامة ، وإراقة ماء الوجه إلى الآخرين . . .
فقد روى ابن ماجه والطبراني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه " .

* ومن المبادئ أن لا يعطي العامل أو الموظف أقل مما يستحق :

روى البخاري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل : قال الله عز وجل : " ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة : رجل أعطى بي ثم غدر ، ورجل استأجر أجيرًا فاستوفى منه ولم يعطه أجره . . . " .

والمعنى : استوفى ربّ العمل من العامل جهده وتعبه فلم يعطه أجره ، أو أعطاه من الأجر أقل مما يستحق .

وفي هذه المناسبة نروي هذه القصة مستمدة من عصور التطبيق للنظام الإسلامي ، لنعرف كيف كان العامل في صدر الإسلام يلقي من العطف ، والرعاية ، والتكافل ، وصيانة الحق ، والحفاظ على الكرامة . . ما لم يلقه أي عامل في عصر الدعاوى الفارغة لإنصاف الفقراء والعمال . .

جاء أحد أرباب العمل إلى الخليفة الراشد عمر رضي الله عنه يشكو عماله بأنهم سرقوا له بعض ماله ، فأمهله عمر رضي الله عنه بعض الوقت ليعرف الدافع الذي يدفع هؤلاء العمال إلى السرقة ، فلما تبين لأمير المؤمنين أن العمال لجأوا إلى السرقة لكونهم لا يستوفون كفايتهم من الأجور ، ويأخذون أقل مما يستحقون صاح في وجه رب العمل قائلاً : " أيها اللص : إذا عاد أولئك إلى السرقة قطعتُ يدك أنت " .

ثم أمره أن يعطي عماله استحقاقهم كاملاً حتى لا تضطربهم ظروفهم المادية إلى الاختلاس والسرقة . . فامتثل الرجل أمر الخليفة وأعطاهم ما يستحقونه من الأجر ! ! . .

* ومن المبادئ تأمين الدولة الحد الأدنى للمعيشة :

لما روى الطبراني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " إن الله فرض على أغنياء المسلمين في أموالهم بقدر الذي يسع فقراءهم ، ولن يجهد الفقراء إذا جاعوا وعروا إلا بما يصنع أغنيائهم ، ألا وإن الله يحاسبهم حساباً شديداً ، ويعذبهم عذاباً أليماً " .

فنستدل من هذا الحديث أن المفروض من الزكاة من أموال الأغنياء بقدر الذي يحقق كفاية المحتاجين والفقراء ، والكفاية منوطة بتأمين المسكن الصالح ، والغذاء الصالح ، والكسوة الصالحة ، وإذا قصر الأغنياء ككل في أي مجتمع إسلامي فيه فقراء . . في تأمين هذا الحق فالله سبحانه يتهدهم بالعذاب الأليم يوم القيامة .

وعلى الدولة إن كانت مسلمة أن تأخذ الزكاة منهم عن يدٍ وهم صاغرون حتى يتحقق في المجتمع الإسلامي مجتمع الكفاية والعدل .

* ومن المبادئ مبدأ التعويض العائلي :

الذي سنّه الخليفة الراشد الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فكان يفرض لكل مولود عطاء إلى عطاء أبيه يقدر " بمائة درهم " وكلما نما الولد زاد العطاء ، وقد جرى من بعده عثمان وعلي والخلفاء رضي الله عنهم^(١) . .

علمًا أن قيمة الدرهم الشرائية تساوي بالعملة السورية اليوم بـ ٤٠ ل . س . لأن قيمة الشاة في تلك العصور مقدرة بخمسة دراهم .

واليوم أقل شاة ثمنها بالعملة السورية ٢٠٠ ل س .

وهذا التعويض كان يعطى للجميع بغض النظر عن كون المعطى له موظفًا أو غير موظف، عاملاً أو غير عامل !! .

* ومن المبادئ مبدأ مصارف الزكاة :

فمن هذه المصارف مصرف الفقراء ، والفقير في نظر الشرع الذي لا يملك دارًا للسكنى ، والذي لا يملك زوجة للعصمة والذي لا يملك مالًا للنفقة . . فهؤلاء يعطون من نصاب الزكاة ما يكفيهم ، وما يحقق لهم المسكن الصالح ، أو الزوجة الصالحة ، أو النفقة الواجبة . . ولو استغرق العطاء مبلغًا كثيرًا من المال ، وهذه التوسعة على الفقير في تأمين دار له أو زوجة أو نفقة . . مذهب الفاروق عمر رضي الله عنه ، فقد روى أبو عبيد في كتاب " الأموال " عن عمر قوله : " إذا أعطيتم فأغنوا " " كرروا عليهم الصدقة - أي على المستحقين - وإن راح على أحدهم مائة من الإبل " .

وقد أمر الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه من ينادي في الناس كل يوم: " أين المساكين ؟ أين الغارمون ؟ أين الناكحون ؟ " .

أي أين الذين يريدون الزواج ليعطيهم حقهم من بيت المال ؟

(١) من كتاب " الأموال " لأبي عبيد ص ٢٣٧ .

تلكم بعض المبادئ التي وضعها الإسلام لضمان حق العامل والموظف ، وتحقيق تكافلها ،
والرفع من مستواهما المادي والمعنوي . .

فكل المذاهب الاجتماعية ، والأنظمة التكافلية الأجنبية التي تدعي نصرة العامل ، وإنصاف
الفلاح ، وتكافل الفقير والعاجز . . لا يمكن أن تذكر بجانب النظم الإسلامية الربانية . . التي سعدت
بها الإنسانية دهوراً طويلة ، ووجد الناس على اختلاف أصنافهم حقهم الكامل في ظل عدالة الإسلام،
وتحت راية القرآن . . ولكن كثيرا من شباب الإسلام عن هذه الحقائق السامية ، والمبادئ الخالدة
جاهلون غافلون ^(١) .

ولم تكن هذه الأنظمة التكافلية التي رَسَخَتْ دعائمها شريعة الإسلام أقوالاً تُدعى ، وتصريحات
للتصدير والدعاية ، وإنما كانت من أجل التنفيذ والتطبيق في عالم الواقع . .
والنبي صلى الله عليه وسلم ، والخلفاء من بعده كانوا يشرفون على تطبيقها بأنفسهم ليتحقق في
ربوع الإنسانية مبدأ الكفاية والعدل والتكافل . .

واليكم بعض هذه النماذج :

١ - " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتاه فيء قسمه من يومه ، فأعطى الأهل
(المتزوج) حظين ، وأعطى العزب حظاً واحداً " ^(٢) .

وهذا ما يشبه اليوم تعويض الزوجة بالنسبة للموظف المتزوج .

٢ - وروى مسلم أن رجلاً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله . . إني
تزوجتُ امرأة من الأنصار ، فقال عليه الصلاة والسلام : على كم تزوجتها ؟

قال : على أربع أواق ! . .

^(١) إن أردت - أخي القارئ - المزيد من هذه الحقائق التكافلية في نظام الإسلام فارجع إلى كتابنا " التكافل الاجتماعي في الإسلام " تجد فيه ما يشفي الغليل إن شاء الله .
^(٢) من كتاب (الأموال) لأبي عبيد ص ٢٣٧ .

فقال عليه الصلاة والسلام : على أربع أواق ؟ كأننا نتحتون الفضة من عرض هذا الجبل ! . ما عندنا ما نعطيك ولكن عسى أن نبعثك بعثاً تصيب منه .

وهذا التصرف من نبي الإسلام برهان قاطع على تيسير سبل الزواج لمن يرغب به وهو لا يجد المهر !! ..

٣ - " قد زوّج عمر بن الخطاب رضي الله عنه ابنه عاصماً ، وأنفق عليه شهراً من مال الله " (١) ، وهذا ما يسمى بكفالة الدولة للأسرة الفقيرة حين لا تجد أسباب الرزق، وموارد المال !! ..

٤ - وسبق أن ذكرنا أن عمر رضي الله عنه " كان يفرض لكل مولود عطاء إلى عطاء أبيه يقدر بمائة درهم ، وكلما نما الولد زاد العطاء ، وقد جرى عليه من بعده عثمان وعلي والخلفاء " (٢) . وهذا ما يسمى في عرفنا اليوم بالتعويض العائلي .

٥ - وما يذكره التاريخ بافتخار أن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه " كان يخصص للأعمى قائداً ، وللعاجز خادماً ويُجري نفقاتهم جميعاً من بيت المال " (٣) .

٦ - قال يحيى بن سعيد : " بعثني الخليفة عمر بن عبد العزيز لجمع زكاة إفريقية ، فجببتهَا وطلبتُ فقراء نعطيها فلم نجد من يأخذها منا !! .. فقد أغنى عمر بن عبد العزيز الناس ، فاشترتُ بها رقاباً - أي عبيداً - فأعتقهم " (٤) .

وهذا يعني أن المجتمع الإسلامي أصبح مكفياً متكافلاً لا تجد من أبنائه من يستحق كفالة بيت المال ، وإعانة الميسورين من أرباب الأموال !! .

هذا غيظ من فيض مما كان الناس يجدونه من تراحم وتكافل وكفاية وتضامن .. في ظلّ شريعة الإسلام ، وتحت راية التطبيق الإسلامي ..

(١) من كتاب (الأموال) لأبي عبيد ص ٢٣٧ .

(٢) من كتاب (الأموال) لأبي عبيد ص ٢٣٧ .

(٣) من سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم .

(٤) من سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم .

فعلى العلماء والدعاة إلى الله ، والجماعات الإسلامية المخلصة أن يقوموا بدور التوعية في عرض هذه الحقائق الخالدة ، سواء أكانت هذه التوعية بالخطب والندوات ، أو المحاضرات والنشرات ، أو الكتابة على صفحات الصحف والمجلات . . حتى إذا تمكنت القناعة الوجدانية في النفوس ، ونادى الشباب بوجوب الرجوع إلى حاكمية .

الإسلام . . وعزز ذلك بالتضحية والجهاد والعمل . . تتج عن ذلك قيام الدولة الإسلامية فعندئذ ينعم الناس بمجتمع الكفاية والعدل ، وتنعم الإنسانية بنعمة الإسلام من جديد وما ذلك على الله بعزيز . .

بعد استطرادنا للمبادئ التكافلية التي جاءت بها شريعة الإسلام نعود إلى صميم البحث لنعالج مشكلة الراتب المحدود ، وقلة الأجور ، وأزمة الغلاء . . بالحلول الإيجابية التي تنبثق من كفالة الإسلام . .

إن المشكلة الأساسية التي تقف في سبيل الزواج اليوم هي مشكلة المهر ، ومشكلة السكن .

أما مشكلة المهر :

فيمكن حلها عن طريق التوعية ، وتذكير الآباء والأولياء بمواقف السلف من بناتهم ، وكيف أن النبي صلى الله عليه وسلم أرشد أمة الإسلام إلى التسامح بالمهور ؟ وكيف أن الإسلام اعتبر الدين والخلق في اختيار الزوج الكفء ؟

وكيف تكون الحالة الخلقية في المجتمع إذا بقيت الفتيات عانسات عازبات ؟ . . . إلى غير ذلك من ضروب التوعية والتذكير وخالص النصح . .

وقد عرضنا هذا مفصلاً في بحث عقبة " الغلاء في المهور " واكتفينا الآن بالإشارة والاختصار لزيادة التبصرة عسى أن تنفع الذكرى !! . .

وأما مشكلة السكن :

فليس لها من حل سوى أن يتنادى العلماء والدعاة إلى الله ولفيف من الأغنياء الغيورين المخلصين . . إلى عقد لقاءات دورية لبحث هذه المشكلة المستعصية . . ولا بد في نهاية المطاف إلا أن يصلوا إلى وضع خطة إيجابية لحلها ، والتغلب عليها . .
وأرى أن هذه الخطة تعتمد على الأسس التالية :

١ - المورد .

٢ - التنفيذ .

٣ - التوزيع .

* وأعني بالمورد :

تمويل المشروع السكني الذي تنادى من أجله المخلصون .

والتمويل يعتمد على :

أ - دفع سلفة من المشترك على الأتقل عن خمس آلاف ليرة سورية ، ولا يعدم المشترك وسيلة في تأمينها مهما كان فقير اليد .

ب - اشتراكات شهرية من المشترك يدفعها إلى إدارة المشروع على الأتقل عن ٢٠٠ ل س . في

كل شهر .

ج - أموال زكوية يقدمها الأغنياء عن زكاة أموالهم إلى إدارة المشروع .

د - تبرعات مالية يقدمها من يستطيع من أغنياء ومتوسطي الحال إلى إدارة المشروع .

هـ - قروض حسنة تقدم من المقدرين إلى إدارة المشروع على الأتقل مدتها عن ثلاث

سنوات . . وهذه القروض ترد إليهم بعد انتهاء المشروع .

بعد سنة لا بدّ إلا وقد تجمّع مبلغ كبير . .

* وأعني بالتنفيذ :

القيام بتنفيذ المشروع بعد أن تكتمل أسبابه المالية والفنية . .

وعلى إدارة المشروع أن تراعي في التنفيذ الأمور التالية :

- أ - يشرف على التنفيذ فئة مخصصة من المهندسين على أن يعين لهم مرتب مناسب إن كانوا مفرغين له ، ليكون اهتمامهم بالتنفيذ أقوى وأخلص . .
- ب - تُختار الأرض في الأماكن المتطرفة البعيدة المطروقة بالمواصلات لرخص ثمنها ، وسهولة تخطيطها بوحدات سكنية . .
- ج - تخطط الأرض على أساس أبنية ، كل بناية مؤلفة من خمسة طوابق ، كل طابق مؤلف من ثلاث دور ، والدار مؤلفة من غرفتين وصالة فقط .
- د - تقوم قيمة الدار بسعر الكلفة فقط بالإضافة إلى أجور المهندسين والمتعهدين المكلفين بتنفيذ المشروع . .
- هـ - يُحدّد بدء التنفيذ إلى انتهائه بثلاث سنوات على الحدّ الأعظم .

* وأعني بالتوزيع :

توزيع الوحدات السكنية بعد انتهاء التنفيذ إلى المشتركين ، ولكن يُراعى في التوزيع الأمور التالية :

- أ - يشترط في المشترك ابتداء أن يكون عزباً يبغى الزواج لأن المشروع أنشئ من أجله .
- ب - يشترط في المشترك أن لا تكون في حوزته دار يملكها .
- ج - يشترط في حق من يستلم الدار أن يدفع لإدارة المشروع مبلغاً قدره خمسة آلاف ليرة ، وما بقي من ثمن الكلفة يقسّم عليه شهرياً إلى أن يسد ما عليه من ذمة . .
- د - في حال أن المشترك عجز عن دفع الأقساط الشهرية عن دفع خمسة آلاف ليرة سورية عند استلام الدار يعطى من أموال الزكاة أو التبرعات عوناً له على الأداء لأن الإسلام دين التكافل . .

في حال أن الدولة قامت بوحّدات سكنية ، ومساكن شعبية على غرار الخطة التي بيّناها آنفا للعمال والموظفين والفقراء . . ، فيجب أن تكون خالية من الربا ، لأن الله سبحانه أحل البيع وحرّم الربا ، فلا يجوز لمسلم أن يشترك في وحدة سكنية يتعامل المشرفون عليها بالربا ، ومن يفعل ذلك فليأذن بحرب من الله ورسوله !! . .

وما يضير الدولة أو الجمعيات السكنية أن تلغي من أنظمتها التعامل بالربا ، وتستعيض عنه بالبيع المؤجل تقسيطاً ، فهذه العملية تكون قد وجدت في التعامل المخرج الشرعي ، وفي الوقت نفسه تكون قد يسرت للناس سبيل السكن والزواج . ولكن أين لهؤلاء من الاحتكام إلى الشريعة ، والرجوع إلى مبادئ الإسلام ؟ .

وأخيراً إنني أهيب بالعلماء ، والجماعات الإسلامية ، والأغنياء . . أن يعالجوا هذه المشكلة، ومشكلات كثيرة غيرها بعين ساهرة ، وإرادة قوية ، وهمة قعساء . . عسى أن يجد شبابنا المخرج لأزمة السكن ، والحل لمشكلة الزواج . .

وهذا العمل الذي يقومون به ، ويسعون إليه ، ويجاهدون من أجله هو من المبادئ التكافلية التعاونية التي أمر الإسلام بها وحضّ عليها . .

فمن مبادئ الإسلام :

- ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ﴾ [المائدة : ٢] .
- ﴿ ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ﴾ [الحشر : ٩] .
- ﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل . . ﴾ [البقرة :

. [٢٦١]

- " ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم به " (البزار والطبراني) .
- مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى " (رواه مسلم) .

- " لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه " (الشيخان) .

من هذه النصوص يتبين أن قيام المسلمين بالجمعيات التعاونية التكافلية في المجتمع المسلم هو من قواعد الإسلام الأساسية ، ومقاصد التشريع العامة . . فليس لشباب الإسلام - بعد الله - إلا أبناء دعوة الإسلام ، ورجال العلم المخلصين ، والأغنياء المنفقين ، وخاصة في عصر غربة الإسلام ، والله المستعان .

" ٦ " انتشار البطالة

إن الشاب الذي لم تيسر له سبل الكسب ، ولم تتفتح أمامه طرق العمل . . يعيش في المجتمع على هامش الحياة عيشة ذليلة مهينة ، وينظر إلى الناس بمنظار أسود ، وتلتجج بين جوانحه كوامن الحقد الدفين على بني الإنسانية جمعاء . . لأنه يرى الكثير في مجبوحة وسعادة وهو في حرمان وشقاء ، ويجد الفئات من البشر في نعيم دائم وهو يتقلب في جحيم البؤس والحاجة ! ! . .

فكيف تصور من هؤلاء العاطلين البطالين - وهذه نظرتهم إلى الحياة - أخلاقاً كريمة، وأدباً اجتماعية عالية ، ومحبة أخوية خالصة . . وقد قال عليه الصلاة والسلام : " كاد الفقر أن يكون كفراً " ؟ ، أو كيف يفكر أحدهم بالزواج وهو لا يجد في الحياة قوت يومه ، أو ما يسدّ جوعته وعوزه ؟ وربما ينخدع بالمبادئ الإلحادية المستورة التي هبت ريحها من الشرق الشيوعي أو غيرها من البلاد الإلحادية . . فيؤمن بها ويسبح بحمدها وهو يحسب أنه يحسن صنعا ، وفي ذلك فساد لعقيدته ، وانحراف لأخلاقه ، وامتهان لإنسانيته . .

وإذا كنا نتكلم عن البطالة ومشكلتها ، فلنتكلم عن أهم العوامل التي أدت إلى تفشيها وانتشارها ، لنصل بإذن الله - بعد تشخيص الداء - إلى وصف البلسم الشافي، والعلاج الناجع والله المستعان .

وفي تقديري أن العوامل تتركز في النقطتين التاليتين :

١ - عامل مزاحمة المرأة أعمال الرجل .

٢ - عامل التربية المنحرفة .

تلكم أهم العوامل التي تسبب أزمة العمل ، وتحدث مشكلة البطالة . .

وإذا كنا نتكلم عن وضع الحلول العملية لتذليل كل عقبة . . فلنتكلم عن الحل العملي لكل عامل من هذه العوامل المذكورة التي اعتبرناها من الأسباب الرئيسية في انتشار البطالة وإحداث أزمة الزواج ! .

* ولنبدأ بعامل مزاحمة المرأة أعمال الرجل ^(١) :

إن الإسلام بتشريعه الخالد ، ومبادئه الحكيمة . . جعل لكل من المرأة والرجل من الاختصاص ما يتناسب مع كل من الناحية الجسمية ، ومن الناحية النفسية ومن الناحية العقلية . . ولكي يعرف كل من الجنسين حدود اختصاصه فيحسن أن تتكلم باختصار عن الفروق التي بين الرجل والمرأة من الناحية الجسمية ، والنفسية ، والعقلية

أ - الفروق الجسمية :

لا يخفى على كل ذي عقل وبصيرة أن جسم المرأة يختلف كل الاختلاف عن جسم الرجل . .

- فالمرأة تحيض في كل شهر ، وأثناء الحيض يضطرب حال المرأة ويطرأ عليها تغيرات صحية حيث يسوء هضمها ، وتقل شهيتها للطعام ، وتصاب بالآم في البطن ، وصداع في الرأس ، وتبدد في الحس ، وضعف في التفكير ، وحساسية في النفس . .

- والمرأة تحمل ، ففي الأشهر الثلاثة الأولى من بدء الحمل يضعف جسمها ، ويتغير لونها ، وتعرض لاضطرابات هضمية وإمساك ، وغثيان ، وضيق في التنفس ، وخفقان في القلب وارتخاء ، وخمول ، وتحسس في المزاج . .

وفي الأشهر الأخيرة تتعرض لآلام الحمل المتزايدة حتى تصل إلى حالة لا تقوى فيها على الكثير من الحركة ، ويرافقها آلام في أكثر الأعضاء . .

(١) استفدنا كثيراً في هذا البحث من كتاب " الاختلاط والتبرج " للمؤلف عبد الباقي رمضون .

وصدق القرآن الكريم حين قال : ﴿ ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنأ على وهن وفصاله

في عامين أن اشكر لي ولوالديك إلى المصير ﴾ [لقمان : ١٢] .

- ثم تأتي الولادة والنفاس ، وهي فترة بين الأربعين والستين يومًا ، تتحملها المرأة وتصبر على شدتها وآلامها ، وفيها تنزف الكثير من دمها . .

- ثم تأتي مرحلة الرضاعة والحضانة التي تستغرق عامين ، يشاركها الرضيع غذاءها من لبنها ، ويفقدها الكثير من نضارتها وجمالها ، وتشغل جل وقتها في إرضاعه وتنظيفه ، ومناغاته ، وضمه وحمله عند بكائه والسهر عليه إذا مرض ، والعناية به إذا مشى . . إلى أن يصبح مراهقًا . . إلى أن يتزعر شابًا . .

أما التركيب الجسمي للمرأة فإن جسم المرأة الذي يقوم بعملية الحيض ، ووظيفة الحمل ، والإنجاب والحضانة ، والإرضاع لاستمرار الجنس البشري ، لا بد وأن يختلف عن جسم الرجل اختلافًا كليًا ، فقد أثبت علم الطب أن سبب اختلاف التكوين الجسمي لدى المرأة عن الرجل يعود لوجود غدد في المرأة ليست موجودة عند الرجل ، هذه الغدد تعدّها لخصائص الأنوثة في دقة الخاصرة ، وبروز الثديين ، ولين الجانب ، ورقة العاطفة ، ونعومة الملمس ، وعذوبة الحديث ، وغلبة الحياء ، وكثرة الخجل ، وضعف التحمل . .

هذا عدا عن الجهاز العظمي ، والعضلي ، والعصبي ، والأجهزة الأخرى تختلف في المرأة عن أجهزة الرجل . .

ب - الفروق النفسية :

من الحقائق التي لا يختلف فيها اثنان أن اندفاع المرأة وراء عواطفها من حب وعطف ورجاء وحياء . . أقوى من اندفاع الرجل . . وهذه الظواهر العاطفية لدى المرأة ليست وليدة العادة والبيئة - كما يدعي البعض - وإنما هي نتيجة تركيبها الجسمي ، وتكوينها الفيزيولوجي ، ووجود أجهزة وغدد في المرأة دون الرجل تعمل لذلك ، وهذا ما أثبتته العلم والطب . .

ج - الفروق العقلية :

لقد رأينا أن المرأة في تقلبٍ جسيمي ونفسي مستمرين ، وهذا ما يجعلها أن تتأثر بانفعالاتها وعواطفها . . وإذا كان الأمر كذلك فإن عاطفتها وانفعالها يطغى على عقلها واتزانها . . ونادر جداً أن ترى امرأة ضبطت عواطفها ، وبقيت على اتزانها إذا رأت مشهداً مثيراً ، أو قتالاً ناشباً ، أو حادثة أليمة ، أو فرحاً قائماً . . وهذا أكبر دليل على أنها تنساق مع عواطفها وانفعالاتها في حزنها وفرحها ، وسرورها وضررتها . . ومن هنا كانت الحكمة التشريعية في أن شهادة امرأتين تعدل رجلاً واحداً ، والعلة في ذلك - كما ذكر القرآن الكريم - أن تنسى إحداهما - إذا رأت المشهد العاطفي - فتذكر إحداهما الأخرى ^(١) :

﴿ واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى . . ﴾ [البقرة : ٢٨٢] .

فإذا كانت هذه هي الفروق الجسمية والعقلية والنفسية . . بين المرأة والرجل ، فإن الحكمة تقتضي أن يقوم كل من الرجل والمرأة بالأعمال التي تتفق مع التكوين الجسماني والنفسي والعقلي . . باعتبار أن الرجل أقوى جسمًا ، وأضبط عاطفة ، وأكثر اتزاناً . . فإن الحكمة تقتضي أن يقوم بأشق الأعمال ، وأثقل التكاليف . . كأن يسعى في مناكب الأرض ، ويجهد وراء العيال ، ويجاهد في ساحات الحروب والوعى ، ويتولى شؤون الإمارة والحكم . .

وباعتبار أن المرأة أضعف جسمًا ، وأقوى عاطفة ، وأقل اتزاناً . . فإن الحكمة تقتضي أن تقوم بالأعمال التي تتفق مع تكوينها وعاطفتها . . كتدبير شؤون المنزل ، والقيام برعاية الطفولة ، وأداء حقوق الزوج . . فتديرها لشؤون المنزل يتفق مع ضعفها الجسماني، ورعايتها للطفولة يتفق مع حدة عاطفتها ، وأداؤها لحقوق الزوجية يتفق مع ما فطرت عليه من محبة وإخلاص . .

(١) قد يكون سبب نسيان المرأة في الأمور التي لا تعود إلى خبرتها واختصاصها كالمقضايا التجارية ...

والمرأة حين تقوم بما أهلت به فطرياً على وجهه الأكمل ، تكون قد أرضت ربها ، وقامت
بوظيفتها الطبيعية التي خلقت من أجلها ، وأدت دورها في الحياة كما يؤديه الرجل سواء بسواء .
ولو أن كلا من الرجل والمرأة أدى وظيفته الفطرية والطبيعية في الحياة على الوجه المطلوب لصلح
أمر الدنيا ، وانتظمت الحياة ، واستقرت أحوال المجتمع ، قال تعالى : ﴿ ولا تمننوا ما فضل الله به
بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا ، وللنساء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله إن الله
كان بكل شيء عليماً ﴾ [النساء : ٣٢] .

كيف تصوّر وضع النساء في المجتمع الشيوعي أو الغربي وهنّ في الأزقة والشوارع ، للأوساخ
مكثّسات ، وللأحذية مساحات ، وللأمّعة حاملات ، وللمراحيض خادّمات . . ؟
كيف تصوّر وضع النساء في المعمل ، وفي المصنع ، وفي الدائرة . . وفي حقل السياسة ، وميدان
الحرب . .

بعضهن نفساوات ، وبعضهن مرضعات . .

بعضهن حائضات ، وبعضهن حاملات . .

شعورهن شعته ، وثيابهن قدرة ؟

كيف تصوورهن ، وقد برزت عروقهن ، وانفتحت عضلاتهن ، واكفهرت وجوههن ، وخشنت
أصواتهن ، وغلظت جلودهن ، ومجّلت أكفهن ، وتشققت أقدامهن ؟ إلى غير ذلك من هذه التصورات
المؤلمة المحزنة المفجعة في المجتمع المختلط المتقلّت !! .

- تقول " مارلين مونرو " وهي أشهر ممثلة إغراء في رسالتها التي كتبها عند اتحارها ما يلي : "
إني أتعس امرأة على هذه الأرض ، لم أستطع أن أكون أمّاً ، إني امرأة أفضل البيت ، والحياة العائلية
الشريفة الطاهرة ، بل إن هذه الحياة العائلية هي رمز المرأة ، لقد ظلمني الناس ، وإن العمل في السينما
يجعل المرأة سلعة رخيصة تافهة مهما نالت من المجد والشهرة الزائفة . . " .

- وقالت الممثلة الأمريكية " بربرة سترياند " فى آخر مقالة صحفية لها : " لقد بدأت أتأكد من أن أشياء كثيرة تنقضي ، اهتمت أكثر مما يجب بحياتي الفنية ، ونسيتُ حياتي كامرأة وكإنسانة ، مما جعلني اليوم أحسد النساء اللواتي عندهن الوقت الكافي للاعتناء بأزواجهن وأطفالهن ، والحقيقة إن النجاح والشهرة لا معنى لهما في غياب الحياة العائلية حيث تشعر المرأة أنها امرأة " .

- وتقول الكاتبة الشهيرة " أنا رورد " في مقالة نشرتها في جريدة " الاسترن ميل " الإنكليزية " . . . لأن تشغل بناتنا في البيوت خوادم أو كالحوادم ، خير وأخف بلاءً من اشتغالهن في المعامل ، حيث تصبح البنت ملوثة بأدران تذهب بروق حياتها إلى الأبد . . ألايت بلادنا كبلاد المسلمين ، فيها الحشمة والعفاف رداء . . إنه عار على بلاد الإنجليز أن تجعل بناتها مثلاً للذائل بكثرة مخالطة الرجال ، فما لنا لا نسعى وراء ما يجعل البنت تعمل بما يوافق فطرتها الطبيعية ، من القيام في البيت ، وترك أعمال الرجال للرجال سلامة لشرفها . . " .

هذا ما كتبه واعترف به نساء المجتمعات المختلطة التي تتيح للمرأة أن تقوم بأعمال الرجل !! . .

فهل آن لنا أن نعي ونفهم ، وأن نعتبر وتذكر ؟

من هذا كله يتبين أن للمرأة وظيفة طبيعية أصيلة . . فهي كفتاة يجب أن تُهيأ لمستقبلها الأسري ، وهي كزوجة يجب أن تقوم بحق الزوج وإدارة البيت ، وهي كأم يجب أن تقوم على إعداد الجيل وتربية الأولاد . . فهي ربة البيت ومملكته والمسؤولة عنه أولاً وآخراً .

فإذا انشغل الأب عن تربية ولده وتوجيهه بحكم عمله الخارجي ، وانشغلت الأم عن تربية ولدها وحضاته وإعداده . . بحكم وظيفتها أو عملها . . فلا شك أن الولد سينشأ نشأة اليتيم الذي احترم عطف أبويه ورعايتهما وتوجيههما . .

وصدق شوقي حين قال :

ليس اليتيم من انتهى أبواه من هم الحياة وخلفاه ذليلاً
إن اليتيم هو الذي تلقى له أمًا تخلت أو أبًا مشغولاً

وإذا كان من الضرورات الاجتماعية ما يلجىء المرأة ويضطرها إلى العمل . . فالإسلام يشترط في عملها الأمور التالية :

١ - أن يكون العمل في الدائرة التي تختص بنات جنسها كالتعليم والخياطة ، والتمريض والولادة . . .

٢ - أن تلتزم حدود الآداب الإسلامية العامة في دائرة عملها كالتزام الحجاب ، وعدم الاختلاط بالأجانب . .

٣ - أن يكون العمل الذي تزواله متفقاً تماماً مع تكوينها الجسماني ، واستطاعتها الجسدية . .

٤ - أن لا يتعارض عملها مع وظيفتها الطبيعية التي خلقت من أجلها . .

ولكن إذا خرجت من بيتها للعمل دون أن تلتزم هذه المبادئ ، وتُراعي تلك الشروط كخروجها إلى العمل سافرة ، أو مزاولتها لأعمال ليس من اختصاصها ، أو ترتب على عملها اختلاط بالأجانب ، أو كان العمل متعارضاً مع وظيفتها الطبيعية . . فسيُمنى المجتمع - ولا شك - بأخطار بالغة تؤدي إلى انهياره ودماره ، وتهتد الأمة بنكسة اقتصادية وأخلاقية واجتماعية . . لا تحمد عقباه .

والأخطار التي تنجم عن ذلك هي :

١ - ازدياد نسبة البطالة في عنصر الرجال .

٢ - انتشار التحلل الخُلقي في المجتمع .

٣ - اضطراب أحوال الأسرة وهدم كيانها .

وعلى هذا يمكن أن نقول :

كل عمل تزاوله المرأة لا تراعى فيه الشروط التي سبق ذكرها تحرمه الشريعة ، وتكون المرأة مخالفة فيه أوامر الإسلام . .

إن فكرة مزاحمة المرأة أعمال الرجل قد هبّت ريجها من ديار الغرب ، وبلاد الشرق . . وهي بلاد لا تقيم للآداب العامة وزناً ، ولا للمفاهيم الخلقية حرمة . . وربما تكون المرأة الغربية أو الشرقية معذورة بعض العذر في خروجها من المنزل ، ومزاوتها أعمال الرجال . . لأن الأعراف الاجتماعية الأليمة ترتّب عليها إذا بلغت سنّ الثامنة عشرة من عمرها أن تبحث عن عمل تتكسّب منه . . لأن أباهما أصبح غير مسؤول عن نفقتها . بل تطرد من البيت إذا لم تدفع لأبيها أجره البيت ، ونفقة الطعام . . ومن ناحية أخرى فإن المرأة الغربية مكلفة بدفع المهر لمن يرغب بزواجها . .
فهي تكدر وتعمل إذن من أجل زواجها . . ومن أجل أجره البيت ، ومن أجل الإنفاق على نفسها . .

هذا وإن التقاليد الاجتماعية الفاجرة تحتم على المرأة الغربية أو الشرقية أن تخرج سافرة متبرجة ، تخالط من شاءت ، وتصاحب من أرادت وتعشق من تحبّ . . دون أن ترى في ذلك حرجاً ولا عيباً !!

أما المرأة المسلمة :

فإن الإسلام صان لها كرامتها من أن تدنّس ، وعفافها من أن تنال منه الذئاب البشرية ، وطلاب اللذة والجسد . . .

من أجل هذا فرض عليها الحجاب ، وحرّم عليها الاختلاط . .
وهي كفتاة تجد من ينفق عليها ويقوم على رعايتها كأبيها وأخيها وعمّها . .
وهي كزوجة ، فالزوج هو المتكفل بالنفقة الواجبة الكاملة عليها . .
وهي كخطوبة فالخاطب هو المكلف شرعاً بدفع المهر لها .
ولا يخفى ما في هذه المبادئ السامية من تكريم للمرأة ، واحترام لها ، وحفاظ على شرفها وعفافها ، واعتراف بشخصيتها ووجودها . .

والعلاج الوحيد لعامل مزاحمة المرأة أعمال الرجل هو أن يقوم العلماء والدعاة إلى الله، والجماعات الإسلامية المخلصة . . بدورهم الكبير في تحذير الأمة على اختلاف أصنافها مغبة هذه المزاحمة ، وما ينتج عنها من آثار سيئة ، ونتائج وخيمة في الفرد والمجتمع . . وما تؤدي إلى نكسة أليمة في الأخلاق والاقتصاد ، وما يتسبب عن طريقها من انتشار للبطالة في عنصر الرجال ، وزج المرأة في وظائف وأعمال ليست من اختصاصها ، ولا تتفق مع وظيفتها الطبيعية التي خلقت من أجلها . . ولا شك أن هذه التوعية الكريمة لها أفضل النتائج ، وأطيب الثمرات في نفوس الذين يريدون أن يتفهموا المنطق والحق ، وأن يسيروا مع المصلحة والعقل . . ولا بد إلا أن يستجيبوا لله وللرسول إذا دعاهم لما يحبه ، ولا بد إلا أن يمنعوا من لهم في أعناقهم حق الولاية والمسؤولية من زوجات وبنات من أن يعملن في وظائف ليست من اختصاصهن أو يتسلمن أعمالاً ليست من طبيعتهن . . وبهذا يكون هؤلاء الدعاة . . قد قاموا بدورهم في التبليغ والنصح والتوعية . . والتذكير . . والله سبحانه لا يضيع أجر المخلصين العاملين .

هذا على الصعيد الشعبي أما على الصعيد الحكومي فعلى هؤلاء العلماء والدعاة . . أن يتقدموا بطلباتهم الدائمة ، ومذكراتهم المتكررة للحكومات القائمة في كل بلد . . يبينون فيها الخطر الكبير الذي يترتب من جراء مزاحمة المرأة أعمال الرجل . . وهذه الطلبات والمذكرات يجب أن تكون مدعمة بالأدلة المادية ، والحجج المنطقية والعقلية . . وأن تكون مثبتة بالوقائع والأرقام . . وما أكثر الأحداث المؤلمة ، والوقائع المفجعة التي آلت إليها المجتمعات الغربية والشرقية نتيجة الاختلاط ، ونتيجة مزاحمة المرأة أعمال الرجال ، ونتيجة الانسلاخ من ربة الأخلاق ، وسلطان الدين ، ووازع الضمير! . .

عسى أن تجد هذه المذكرات روح التقبل والقناعة لدى رجالات الحكم في كل مكان، فلا يجدون بدءاً سوى أن يصدروا القرارات والمراسيم ، في منع توظيف النساء في الدوائر الرسمية ، والهيئات الحكومية . . وحظر عمل المرأة في المعامل والشركات والمؤسسات . . وتستعيز عنهن رجالاً لا يجدون العمل ، وعاطلين لم تنهياً لهم بعد وسائل الكسب . . وبهذا تكون الدولة قد أعطت القوس باربيها ،

وبالتالي تكون قد خففت من أزمة البطالة ، وشجعت على الزواج ، وفي الوقت نفسه تكون قد حفظت الأمة من نكسات الفضيلة والأخلاق ، ومن انهيار الإنتاج والاقتصاد ..

وإذا اضطرت المرأة بحكم الضرورة الملحة لأن تعمل فيخصص لها أماكن خاصة ضمن الشروط التي ذكرناها آنفاً .. وبهذا تكون الدولة قد أمنت لها الكسب الشريف الذي يتفق مع اختصاصها وطبيعتها ، وتكون في الوقت نفسه قد صانت المجتمع من عوامل الفساد والانحلال !! ..

هذا هو حكم الله ، ومنطق الإسلام في عمل المرأة ، فهل لاتباع هذا الحق من سبيل؟

﴿ ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون ﴾ ؟

* أما عامل التربية المنحرفة :

فهو عامل كبير في انتشار البطالة في المجتمع ..

- فكثير من الآباء ليس لهم هم سوى أن يحصل أبنائهم على شهادة عامة تؤهلهم في الدخول بالوظيفة لأن الوظيفة في اعتقادهم الخاطئ هي غاية الحياة ، وأساس السعادة ، فإذا لم يخط الولد بها ، ويحصل عليها .. فيكون فاقد الشخصية ، مهيبض الكرامة ، متزعزع الكيان .. وكان من جراء هذه السطحية في التفكير ، والنظرة القاصرة إلى الحياة .. بأن نشأ الولد بلا مهنة يكتسب منها ، وبلا عمل يدرأ عنه مصائب الأيام ..

وهناك بعض التساؤلات التي تساور أذهان العلماء والمصلحين !! ..

هل كل من يحصل على شهادة يجد سبيل الوظيفة ؟

وهل يمكن للجيل المثقف أن يجد من الوظائف الشاغرة ما يملؤها ؟

وهل عند الدولة من الوظائف الشاغرة تسد حاجة كل من يسعى إليها ؟

فإذا كان الجواب ، لا !! . فلم هذا التهافت على الوظيفة ، وعلام هذا الاتجاه ؟

يقضي الولد المتعلم ريعان صباه في الدراسة حتى ينال في نهاية المطاف شهادة عامة ، بعد هذه المرحلة التحصيلية يفكر جدًّا بأن يدخل الحياة العملية . . فلا يجد أمامه من سبيل سوى أن يطرق باب الوظيفة . . فإذا رآه مغلقاً يقعد مع القاعدين حائرًا ماذا يعمل ؟ مترددًا أين يسير ؟ هل يعمل في الحقل المهني عاملاً ؟ أم في الحقل التجاري تاجرًا ؟ أم في الحقل الصناعي صانعًا ؟ أم غير هذا ؟ ولكن كل هذه الأعمال لم يحترفها ولم يعتد عليها ، وقد ذهب الصبا ، وولى الشباب . . وتدرج في سن الرجولة . .

ما العمل إذن ؟

فليس أمامه من سبيل - إن كان إنسانًا شهمًا شريفًا - سوى أن يلج سبيل العمل مهما كان وضيقًا ليدفع عنه غائلة الجوع ، ومذلة السؤال . .

ورحم الله الشافعي حين قال :

لنقل الصخر من قنن الجبال أحبُّ إليّ من منن الرجال
يقول الناس كسبٌ فيه عارٌ فقلت العارُ في ذلّ السؤال

وإن كان إنسانًا غير شريف سلك سبيل المجرمين ، وعاش في المجتمع رجلًا شقيًا ، وكان خطرًا على الأمن ، والنفوس الآمنة !! . .

- وكثير من الآباء والأمهات يعودون أولادهم منذ الصغر على الدلال المفرط ، والمحبة المتبادلة المائعة . . فهذه التربية المنحرفة يعيش الولد في محيط مغلق على هامش الحياة . . بلا شخصية ولا استشعار بمسؤولية . . لا يعرف من دنيا الناس سوى أبويه ، ولا يلتقي إلا معهما ، ولا يميل إلا إليهما . . في مرحلتها الطفولة والمراهقة . . كان الولد يعتمد على أبويه ، ويجد في كنفهما إخلاص الحب ، وحقبة الرعاية . . فبعد أن مات أبواه على من يعتمد ؟ وإلى من يشكو همومه وأحزانه ؟

يتلفت المسكين يمينًا وشمالًا فيرى أبناء الحياة قد وصلوا إلى آمالهم التي كانوا يرجونها ، وإلى غاياتهم التي كانوا يسعون إليها . . أما هو فلا يزال في أول الطريق ، وهنا يشك في وجوده أهو موجود ؟

فإن كان موجوداً يتساءل متى وُلِدَ فإذا أحس أنه شاب ناهز العشرين من العمر فماذا يعمل ؟ وهكذا يسبح المسكين في خضم من التساؤلات والتأملات حتى يدرك جيداً أن الذي جنى عليه هما أبواه ، وأن الذي حتم عليه هذا المصير المؤلم هو سوء التربية المنحرفة ، وعامل الدلال المفرط . .

فالعلاج إذن :

أ - أن يعمق المرءون في الولد تشويقه إلى التكسب من عمل يده ، وأن يسعوا - ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً - إلى تعليمه منذ نعومة أظفاره مهنة يدوية ، أو حرفة ميكانيكية ، أو عملاً تجارياً . .

استجابة لتوجيه النبي صلى الله عليه وسلم حين قال : " إن أفضل الكسب كسب الرجل من يده " (رواه أحمد) .

- " إن الله يحب العبد المحترف " (رواه الطبراني والترمذي) .

- " ما أكل أحد طعاماً قط خيراً له من أن يأكل من عمل يده " (رواه البخاري) .

ب - أن يربوا الولد على سنن تربية وضعها الإسلام ^(١) .

هذه السنن نلخصها فيما يلي :

- الاعتدال في محبة الولد ، والتسليم لله في كل ما ينوبه ويروعه . .

- تأديب الولد على حسب ما تقتضيه مصلحة التربية بالعقوبة ^(٢) .

- تربية الولد على أساس الاخشيشان والتشرف . . والاعتماد على النفس ، وتحمل المسؤولية ، وتنمية الصدق والصراحة والجرأة الأدبية في نفسه . .

هذه السنن إذا تربي عليها الولد نشأ ثابت الجنان ، مكتمل الشخصية ، عزيز النفس ، قوي

الإرادة ، عظيم الجرأة ، متحسس المسؤولية . . لا يميّعه دلال ، ولا تقتله ميوعة . . حتى إذا بلغ ريعان

(١) ارجع إلى كتابنا " تربية الأولاد في الإسلام " القسم الثاني بحث : " مسؤولية التربية النفسية " " عامل الدلال المفرط " ص ٢٢٥ تجد فيه البحث مكنمًا ، والعلاج للمشكلة وافيًا .
(٢) ارجع إلى كتابنا " تربية الأولاد في الإسلام " القسم الثالث واقرأ فيه بحث " التربية بالعقوبة " تجد فيه البحث وافيًا إن شاء الله .

الشباب بنى نفسه بنفسه ، وشق طريق الحياة بعزيمة لا تعرف الكلل ، وإرادة متينة لا تعرف الونى ولا التواكل ..

وعلينا ألا نغفل مسؤولية الدولة في حل مشكلة البطالة ..

فمن المعلوم أن الدولة إذا زادت في افتتاح المعاهد الصناعية والمهنية والحرفية .. وضاعفت في كل بلد عددها .. فإن الجيل يتجه نحو العمل البناء ، والإنتاج المثمر ، وذلك بتعليم أفرادهم منذ نعومة أظفارهم أصناف الصنائع ، وأنواع الأعمال الحرة ويكون في ذلك قد أسهم ببناء مجتمع حضاري ، وشارك في تشييد نهضة اقتصادية زاهرة .. واستعاد مجده الإسلامي الدائر ، وعزة المسلمين المهيضة ..

ومن المعلوم كذلك أن أي دولة تحترم نفسها ، وتبني لأمتها مجداً أثيلاً شامخاً .. إذا سخرت وسائل إعلامها من إذاعة ، وتلفاز ، وصحافة ، وأفلام .. في تربية الجيل خلقياً ونفسياً ، وتكوينه علمياً وثقافياً .. فإن هذا الجيل يتربى ولا شك على دعائم متينة من الإيمان ، والثقة واليقين ، والاعتماد على النفس والشعور بالمسؤولية ..

وإلا فالمشكلة تزداد سوءاً ، والأزمة يتفاقم أمرها .. ولا بد إلا أن يصاب الجيل بنكسة في التربية ، وبمصيبة في الأخلاق ومعنى هذا أنه آن الأوان لانتظار لحظة الهلاك المحقق ، وساعة الدمار المحتوم !! ..

" ٧ " ترك المجال للنساء للتدخل

لعل من أظهر العقبات التي تقف في طريق الزواج ترك المجال للنساء في أن يتصرفن بأمور الخطبة كيف أردن ، وأن يتدخلن في شؤون الزواج حيث شئن . .

ولا شك أن المرأة بما جبلت عليه من انفعال وعاطفة ، وبما يستهويها من مظاهر العصر ، وبريق المادة ، وحب الجمال . . وبما تعتقده من أن العرف هو المحكم دون سواه ولو كان محاكاة وتقليداً . . . لا يمكن مجال أن تتحقق على يديها خطبة ، أو يتمّ زواج! ! . . اللهم إلا إذا كانت رشيدة عاقلة مؤمنة . . تزن الأمور بميزان الشرع ، وتقيس الأشياء بمقياس المصلحة والعقل . . فإن الخطوبة تتم ، والزواج يتيسر . . دون أن تعكّره العواطف ، وتنال منه الأهواء !! ! . .

ولو أن الرجال وقفوا تجاه هذه المشكلة موقفاً حازماً لما كسدت سوق الزواج ، ولما أصبح المئات من فتيات المجتمع عازبات عانسات !! ! . .

ولو أن الرجال نظروا إلى هذا الأمر بعين المصلحة والحكمة . . وقدرّوا ما ينتج عن كساد سوق الزواج من مفاسد . . لما تركوا المجال للنساء في أن يُعقدن أمر الخطوبة ، ويصعبن قضية الزواج !! ! . .

ولو أن الأولياء تدبّروا ما يقع في المجتمع من فواحش ، وما يصيب الأمة من موبقات الزنى ، وأخطار الرذيلة . . لما تردّدوا لحظة في تزويج بناتهم للخاطب الكفء ، والرجل الصالح الخلق . . ولو كان من ذوي الراتب المقطوع ، والدخل المحدود !! ! . .

كم سمعنا عن نساء يقين سنوات يقمن بمهمة الخطبة لأولادهن ، وأخيراً استحوذ عليهن اليأس والقنوط بحجة أنهن ما وجدن المخطوبة التي اتصفت بمواصفات الجمال والحسب . . وكأن الديميمات ومتوسطات الجمال خلقن لأجل أن يظللن في المجتمع كاسدات عازبات ؟

وكم سمعنا عن زواج كاد أن يتم ، وعن قران كاد أن ينتهي ، وإذ بسوء تصرف بعض الحمقات من النساء ، وطيش تدخلهن . . ينقطع الحبل . . وتنفصم الرابطة . . وربما تشتعل نيران العداوة بين الأُسرتين ، وتنتهي الحالة المؤلمة إلى نتائج لا تحمد عقباها . . ؟

وأنا لا أقول على الرجل أن يهمل رأي المرأة في أمور الخطبة ، وقضايا الزواج . . لأن الإسلام احترام رأي المرأة ، وأمر الأزواج بأن يستشيروا زوجاتهم في تزويج بناتهن، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما رواه أحمد وأبو داود - : " **أمروا النساء (أي استشيروهن) في بناتهن** " .
ولقد أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم برأي زوجته أم سلمة رضي الله عنها يوم الحديبية ، فكان في ذلك سلامة المؤمنين من الإثم ، ونجاتهم من عاقبة المخالفة لأمر نبيهم صلى الله عليه وسلم^(١) .

ولكن الذي أقوله أن على الرجل أن يقف موقفاً حاسماً إذا رأى المرأة سارت في أمور الخطبة مع عواطفها وأهوائها ، ولم تراع في خطبتها مبادئ الشرع ، ومنهج الإسلام . . لأن الله سبحانه أعطاه حق القِوامة . . قال تعالى : ﴿ **الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم** . . ﴾ .

وهذه القِوامة يجب أن تظهر صلاحيتها في حال أن المرأة عقدت سبيل الزواج بمطالب ما أنزل الله بها من سلطان وبشرائط لم تستوح من دين ، ولم تنبثق من مبادئ الإسلام . .
وإذا خضع الولي أو الأب لرأي الزوجة المنحرف ، وسلطتها المستبدة الظالمة . . فإنه يكون عبداً للزوجة ، وجندياً للهوى . . متخلياً باختيار عن خصائص رجولته ، وصلاحية قوامته . . وإذا بقي على هذه الحال فإنه لا كرامة له ولا وزن ولا اعتبار في صفوف النساء فضلا عن الرجال ! . . !

الذي أخلص إليه بعد ما تقدم :

(١) الرسول صلى الله عليه وسلم لما انتهى من التوقيع على الصلح عام الحديبية أمر أصحابه في أن يخلوا العمرة ، ويذبحوا ما معهم من هدي . . فتلكأ الصحابة في تنفيذ هذا الأمر ، فما كان من أم سلمة رضي الله عنها إلا أن أشارت إلى النبي صلى الله عليه وسلم في أن يذبح هديه أمامهم حتى يتأسى به الناس ، ولما رأى الصحابة أن النبي صلى الله عليه وسلم يذبح أسرعوا إلى ذبائحهم تأسياً بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وسبب تلكهم عن الذبح هو انذالهم لأمر الصلح الذي اعتقده البعض أنه ظلم وإجحاف ومذلة .

أن الحلّ العملي لمشكلة سوء تصرّف بعض النساء بقضايا الخطبة والزواج . . هو أن يقف الولي أو الأب تجاه هذه التصرفات غير الحكيمة موقفًا حاسمًا ، وأن يتولى الأمور بنفسه ، وأن يستشعر بمسؤوليته نحو أهله ، وأن الله سبحانه أعطاه حق القوامة ليضع الأمور في نصابها دون ظلم ، ويقوم بمسؤوليته خير قيام دون استبداد . .

- ﴿ ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرًا كثيرًا ﴾ .

فإذا وقف الولي هذا الموقف العظيم . . فإن سوق الزواج ستزوح حتمًا ، وإن كثيرًا من المشكلات ستحل على يديه . . وسيجد راغبوا الزواج الطريق إلى الزواج مذلًا سهلاً . . لأن الأولياء تابوا إلى الدين الحق ، وأعطوا في مواقفهم الحاسمة قدوة للناس جميعًا ، والله من وراء القصد .

الإسلام منهجه في الإصلاح أنه يبدأ بإصلاح الفرد من داخل النفس الإنسانية لا من خارجها ،
يبدأ الإصلاح بطهارة الضمير ، وتهذيب الوجدان ، وإرهاف الشعور .. وهذا لا يتأتى إلا أن يتدرج
الفرد منذ نعومة أظفاره على مراقبة الله عز وجل والخشية منه ، والتحسس بأن الله سبحانه معه يرقبه
ويراه ، ويعلم سرّه ونجواه ، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور .
فإذا تربى الفرد في الأمة هذه التربية ، ونشأ على هاتيك المشاعر والأحاسيس .. أصبح إنساناً
سويّاً ، ورجلاً تقيّاً .. لا تستهويه مادة ولا تملكه شهوة ، ولا يتسلط عليه شيطان ولا تلتعج في أعماقه
وساوس النفس الأمارة !!

فإذا دعت امرأة ذات منصب وجمال قال : إني أخاف الله رب العالمين !! ..

وإذا وسوس له شيطان ، قال : ليس لك عليّ سلطان !! .

وإذا زين له القرناء طريق المنكر ، قال : لا أبتغي الجاهلين !! ..

ولكن ماذا يقوي في نفس الفرد معنى المراقبة لله ؟

من الأمور المسلمّ بها أن حضور مجالس العلم والذكر والمدوامة على صلاة الفرض والنفل ،
والمواظبة على تلاوة القرآن ، والتهجد في الليل والناس نيام ، والاستمرار على صيام المندوب والتطوع ،
والاستماع إلى أخبار الصحابة والسلف الصالح ، واختيار الرفقة الصالحة ، والارتباط بالجماعة المؤمنة ،
وذكر الموت وما بعده .. كل ذلك يقوي في الفرد المسلم الخشية من الله والمراقبة له ، والاستشعار
لعظمته !! ..

ومن الوسائل التي تقوي الوازع الديني في نفوس الشباب أيضاً هي :

١ - أن يتحقق الآباء والمربون وكل المشرفين على تربية الجيل بالمكارم الدينية ، والأخلاق

الإسلامية ، حتى يكونوا للأبناء أسوة ، ولغيرهم قدوة ..

٢ - أن يقف العلماء ، والدعاة إلى الله ، والجماعات الإسلامية صفًا واحدًا في بث الروح الدينية ، والعقيدة الإسلامية . . في نفوس الأمة ، وأبناء الجيل . . لما لهذا التوجيه والتوعية من أثر كبير في تربية الفرد ، وإصلاح المجتمع . .

٣ - أن تجند القوى العاملة للإسلام في افتتاح مسارح للتمثيل الهادف ، ودور لعرض الأفلام التاريخية والتوجيهية يكون من أول أهدافها تقوية الوازع الديني في نفوس الشباب ، وإظهار الأبعاد الإسلامية بمظهرها اللائق في الأوساط الثقافية والشعبية . .

٤ - السعي لدى وزارات التربية في كل بلد إسلامي ، لمضاعفة ساعات التربية الإسلامية في كافة مراحل التعليم ، لما للتربية الإسلامية من أثر فعال في إصلاح أخلاق الجيل ، وتنشئة الأمة على الإيمان بالله ، ومراقبته في السر والعلن . .

٥ - السعي لدى الشركات والمؤسسات والمدارس والشركات . . لإجبار العمال والموظفين والطلاب والجنود على إقامة الصلاة في أوقاتها في دوائهم وأماكن أعمالهم . . لما للصلاة من ثمرات تهيئية وخلقية ، وفوائد صحية ونفسية واجتماعية . .

تلکم أهم الوسائل العملية في غرس الوازع الديني في ضمائر الجيل ، وترسيخ العقيدة الإسلامية في نفوس الشباب . .

فخذوا - أيها الآباء والمربون - بها ، ونشئوا أولادكم عليها . . عسى أن تروج في المجتمع سوق الزواج ، وتنصلح أحوال الأمة !! . .

والذي أخلص إليه بعد ما تقدم :

أن أهم العقبات التي تعترض سبيل الزواج هي :

١ - غلاء المهور .

٢ - المبالغة في تكاليف الزواج .

٣ - عائق الدراسة .

٤ - الإرواء الغريزي غير المشروع .

٥ - قلة الاجور وغلاء المعيشة .

٦ - انتشار البطالة .

٧ - ترك المجال للنساء في التدخل .

٨ - ضعف الوازع الديني .

ولقد عاجلنا - أخي القارئ - كل عقبة من هذه العقبات باقتراحات عملية ، وحلول

إيجابية .. استوحيناها من مبادئ الإسلام وأنظمة الشريعة ..

هذه الحلول إن عملت على مقتضاها الأمة ، وقام على الدعوة إليها والمناداة بتنفيذها ..

العلماء المخلصون ، والدعاة العاملون .. استطعنا أن نستأصل من المجتمع داءً وبئلاً فتأكاً له خطره

الأكبر على الفضلية والأخلاق .. ألا وهو داء العزوبة والعزوف عن الزواج .

وفي الوقت نفسه نكون قد ساهمنا مساهمة فعالة على تقوية الجيل من الناحية الجسمية والعقلية

والخلقية والنفسية .. على حد سواء .

وأمر آخر نكون قد عملنا على تكثير النسل ، والحفاظة على الأنساب .. وحققنا لهذه الأمة ما

تصبوا إليه من عزة وكرامة وأجاد ..

ولعمر الحق .. هذا هو وحده الطريق السوي في بناء مجتمع فاضل تقوم ركائزه على الدين والخلق

، ويسير أبناؤه نحو مجد مؤثل ، وعزة منيعة ، ويدرُج شبابه في إشباع غرائزه بزواج مشروع ، ورباط

مقدس ، ويتحقق لجميع أفرادهم استقرارهم النفسي ، وتربيتهم الروحية ، ورباطتهم الأخوية .. وصدق

الله العظيم القائل في محكم تنزيله : ﴿ وَمَنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ

بينكم مودةً ورحمةً إِنْ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم : ٢١] .

- فيا أيها الشباب :

من استطاع منكم الزواج فليتزوج فإنه أغض لأبصاركم وأحفظ لفروجكم ..

- ويا أيها الأولياء :

إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه ، وتساهلوا معه في المهر ، وسهّلوا له أسباب

الزواج .. إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض !! ..

- ويا أيها الأغنياء :

ابذلوا من حرّما لكم ، وآزروا من لا يستطيعون نكاحًا ، والله سبحانه يضاعف لكم أضعافًا

كثيرة ، ولن يترك أعمالكم ..

- ويا أيها العلماء والدعاة إلى الله :

ابذلوا كل جهودكم لتبني الحلول العملية البناءة في تيسير الزواج ، وإزاحة العقبات التي تقف في

طريقه .. والله سبحانه لا يضيع أجر من أحسن عملاً .

- ويا أيها الحكام في كل بلد :

ارجعوا إلى منهج الإسلام في بناء المجتمع الفاضل ، وسخروا وسائل إعلامكم في تذليل كل عقبة

تقف في سبيل الزواج ، وحل كل مشكلة تعترض تقدّم الأمة .. واعلموا أن الله مسائلكم عن أعمالكم

في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون ..

فبهذا كله - أيها الناس جميعًا - تصونون للأمة أخلاقها وللدولة استقرارها ، ولجيل الناهض

عزته وكرامته ، وللإسلام مجده وسيادته ..

﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ﴾ .

الفصل الرابع

وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا

مما لا يختلف فيه اثنان أن المال أساس السعادة ، وعصب الحياة . . إذا تيسر للإنسان فإنه يحل له كل عقدة ، ويدل في طريقه كل عقبة ، ويوصله إلى كل غاية . .

وصدق من قال :

إن الدراهم في المواطن كلها تكسوا الرجال مهابة وجمالا
فهي اللسان لمن أراد فصاحةً وهي السلاح لمن أراد قتالا

وربما يوجد إنسان ذو علم وخلق . . في بيئة اجتماعية متغترسة ، تعتبر المال كل شيء ، فتراه غير مكترث به ، وغير مأبوه له . . لكونه فقير الحال ، ضيق اليد . . ولو كان إمام الحرمين ، وعالم الثقلين ! ! . .

ورحم الله من قال :

فصاحة حسان وخطُ ابن مُقلّة وحكمة لقمان وزهدُ ابن أدهم
إذا اجتمعت في المرء والمرء مُفلس ونودي عليه لا يُباع بدرهم

ولقد صدق الشاعر حين صور لنا اعتبار المال في بيئة الجهل والغنى حين قال :

تموت الأسدُ جوعاً في البرايا ولحمُ الطير مُلقى للكلاب
وذو جَهْلٍ ينامُ على حرير وذو علم ينام على التراب

فالمال إذن - كما هو مشاهد - هو العصب الحساس لارتقاء سلم الحياة ، وهو الوسيلة

الأساسية للوصول إلى أي غاية ، وهو الاعتبار الأول لدى أهل الجهل والضلال ! ! .

ولكن ماذا يفعل الشباب إذا رغبوا في الزواج ، والمال غير متيسر لديهم ؟

وماذا يصنعون إذا لم يروا تمن يعايشونهم تكافلاً ولا عطفاً ؟

إنهم يريدون أن يعصموا أنفسهم بالزواج ولكن لا يجدون السبيل إليه !! .
إنهم يريدون أن يستجيبوا لدواعي الغريزة بالرباط المقدس ولكن تحول دونهم عقبات وعقبات !!
إنهم يريدون أن يلبوا نداء الرسول صلى الله عليه وسلم في دعوة الشباب إلى الزواج ولكن لم يجدوا
المال ، ولم يجدوا من البيئة التي يعايشونها عطف الإنسان على أخيه الإنسان !! . .

إذن ما السبيل إلى إحسان نفوسهم ، والحد من ثورة غرائزهم الجامحة ؟
السبيل إلى ذلك هو أن يستجيبوا لدعوة القرآن الكريم في التمسك بجبل الإعفاف والتسامي ،
وهذا هو الطريق الوحيد في إصلاح نفوسهم ، وإحسان فروجهم ، والترفع عن هواجس نفوسهم الأتارة
بالسوء . .

قال تعالى : ﴿ وليستعفف الذين لا يجدون نكاحًا حتى يغنيهم الله من فضله ﴾ [النور :

. [٣٣

هذه الدعوة القرآنية إلى العفة تربية نفسية كريمة ، تقوي في نفوس الشباب الإرادة ، وترسخ في
قلوبهم العزيمة ، وتجعل منهم أناسي كالملائكة . . ، وتمنحهم دائمًا الطمأنينة والاستقرار !! . .

ولكن ما هو المنهج الذي وضعه الإسلام في وصول الشاب إلى قمة العفة والتسامي ؟

أرى أن هذا المنهج يتلخص في النقاط التالية :

١ - اللجوء إلى الصوم :

فالإسلام أرشد الذين لا يجدون نكاحًا أن يصوموا ، لما للصيام من تخفيف لغلواء الشهوة ، وتقوية
لمعنى المراقبة لله ، والخشية منه . .

وقد جاء هذا الإرشاد في الحديث النبوي الذي رواه الجماعة عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم أنه قال : " يامعشر الشباب : من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فإنه أغض للبصر ، وأحصن
للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء (أي قاطع للشهوة) " .

وما أكثر صيام النفل الذي حضّ الشّرع على صيامه ، ونذكر منه على سبيل المثال: صيام داود
فإنه كان يصوم يوماً ويفطر يوماً ، وصيام الإثنين والخميس ، وصيام الستة من شوال ، وصيام ثلاثة أيام
البيض من كل شهر عربي : اليوم الثالث عشر ، والرابع عشر ، والخامس عشر ، ومنه صيام تسكين
الشهوة لقوله عليه الصلاة والسلام : " . . . ومن لم يستطع فعليه بالصوم . . . " .

٢ - غض البصر عن المحرمات :

لأن النظرة إلى المرأة الأجنبية يؤدي إلى الابتسامة ، والابتسامة تؤدي إلى السلام ، والسلام يؤدي
إلى الكلام ، والكلام يؤدي إلى اللقاء ، واللقاء يؤدي إلى الموعد ، والموعد يؤدي إلى نتائج وخيمة لا تحمد
عقبها . .

فقدّمًا قال الشاعر :

كل الحوادث مبداها من النظر ومعظم النار من مستصغر الشرر

وحدثًا قال الشاعر :

نظرة فابتسامة فسلام فكلام فموعد فلقاء

من أجل هذا أمر القرآن المؤمنين والمؤمنات في أن يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم قال تعالى
في سورة النور : ﴿ قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما
يصنعون ، وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن . . ﴾ .

فإذا سار الشباب على هذا المنهج فإنهم يكونون من زمرة الصالحين الأطهار ، والمؤمنين

الأبرار !! .

٣ - الإبتعاد عن المثيرات الجنسية :

من القضايا المسلّم بها أن الاختلاط في أجواء النساء الكاسيات العاريات المتبرجات ، وأن قراءة
القصص الغرامية ، والمجلات الخلاعية التي يقوم على ترويجها تجار الغرائز والأعراض ، وأن مشاهدة

الأفلام الخليعة ، والتمثيلات الماجنة في التلفاز والسينما ومسارح العرض . . وأن السماع إلى الأغاني الخليعة الماجنة التي تبثها أمواج الأثير في كل مكان . .

كل ذلك . . مما يخذّر الغيرة ، ويلوث الشرف ، ويميع الخلق ، ويضعف الذاكرة ، ويثير الغريزة ، ويقتل الشخصية . . ويجرّ الشباب إلى أحابيل الزنى ، وشباك الفاحشة . .

قال تعالى : ﴿ ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلاً ﴾ [الإسراء : ٣٢] .

فعلى الذين لا يجدون نكاحًا أن يتعدوا عن المثريات . . إن أرادوا أن يحافظوا على توازنهم الإرادي ، وانضباطهم النفسي ، والخلقي ، وصحتهم العقلية والجسدية . .

وبهذا يكونون من زمرة الصالحين الأطهار ، والمؤمنين الأبرار !!

٤ - ملء الفراغ بما ينفع :

يقرر علماء النفس والتربية أن الشاب المراهق إذ اختلى لنفسه وقت فراغه ترد عليه الأفكار الحالمة ، والتخيلات الجنسية الآثمة . . فلا يجد نفسه إلا وقد تحركت بالشهوة ، وهاجت بالغريزة أمام هذه الموجة من التأمّلات والخواطر . .

فما العلاج للتخلص من سوانح الخواطر ، وتأمّلات الغرائز ؟

العلاج أن يعرف الشاب سواء أكان مراهقًا أو غير مراهق كيف يقضي وقت فراغه ؟

وما أكثر مجالات الفراغ النافعة لدى الشاب إن أراد أن يملأها !! .

يقضي وقت الفراغ إما برياضة بدنية تقوي جسمه ، أو نزهة بريئة يروح بها عن نفسه ، أو مطالعة مفيدة يكمل بها ثقافته ، أو عمل يدوي ينمي به ميوله ، أو حضور حلقة روحية توجيهية يهذب بها خلقه ، أو مباراة ثقافية يروض بها عقله ، أو تمارين على الرمي والسباحة وركوب الخيل ، ووسائل الجهاد يعدّ ليوم الكريهة نفسه . إلى غير ذلك من هذه المجالات النافعة التي هي من صلب الدين ، وصميم الإسلام . فإذا سلك الشباب هذا المسلك ، وساروا في هذا الطريق . . فإنهم يكونون من زمرة الصالحين الأطهار ، والمؤمنين الأبرار !! . .

٥ - اختيار الرفقة الصالحة :

من المعلوم يقيناً أن الذي يصاحب أهل التقوى والإيمان فإنهم لا يقودونه إلا إلى خير ، ولا يأخذون به إلا إلى هداية ، ولا يصحبونه إلا إلى منافع دينية ، ومصالح خلقية وعلمية . .
وأن الذي يصاحب أهل المنكر والعصيان . . فإنهم لا يقودونه إلا إلى ضلال ، ولا يدفعون به إلا إلى منافع شخصية ، وغايات دنيوية . .

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم القائل - فيما رواه الترمذي - : " المرء على دين خليله
فلينظر أحدكم من يخالل " .

وروى أحمد والترمذي . . . " لا تصاحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقي " .
وصدق من قال :

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي

فإذا صاحب الشاب من يثق بدينه وأخلاقه ، وتخير الرفقة المؤمنة الصالحة . . فإنه - ولا شك -
يكون من زمرة الصالحين الأطهار ، والمؤمنين الأبرار !! .

٦ - الأخذ بالتعاليم الطبية :

إن مما ينصح به علماء الصحة والطب في التخفيف من سلطان الغريزة ، وجموح الشهوة هو ما
يلي :

١ - الإكثار من الحمامات الباردة في موسم الصيف ، وصب الماء البارد على العضو التناسلي في
الفصول الأخرى .

٢ - الإكثار من الألعاب الرياضية ، والتمارين الجسمية . . .

٣ - تجنب الأطعمة المحتوية على بهارات وتوابل . . .

٤ - الإقلال ما أمكن من المنبهات العصبية كالكهوه والشاي . .

٥ - عدم الإكثار من اللحوم الحمراء والبيض . .

٦ - عدم النوم على الظهر أو على البطن ، بل السنة أن ينام على شقه الأيمن مستقبلاً بوجهه

القبلة .

والإسلام يحضّ المسلم على أن ينتفع من أي علم نافع فيه صلاح له ، لأن شعاره في ذلك : " الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحقّ بها " (رواه الترمذي والعسكري والفضاعي . . .)

فما على الشاب المستعفّ إلا أن يأخذ بهذه التعاليم الطيبة إن أراد أن يكون من زمرة الصالحين الأطهار ، والمؤمنين الأبرار .

٧ - استشعار خوف الله بالسر والعلن :

من الأمور المسلمّ بها لدى أهل الأفهام والبصائر أن الشاب حين يستشعر من أعماق وجدانه ، ومن سويداء قلبه أن الله سبحانه يرقبه ويراه ، ويعلم سرّه ونجواه ، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ؛ وأنه سيحاسبه إن قصر وفرط ، ويعاقبه إن انحرف وزلّ . . . لا شك أنه سيعفّ عن الحرام ، وينتهي عن ارتكاب الموبقات ، ويكف عن فعل الفواحش . . .

وسبق أن ذكرنا في مبحث " ضعف الوازع الديني " أن مما يقوي الوازع الديني ، ويربط الإنسان بالله سبحانه ، ويصعدّ في الشاب المسلم ظاهرة الخشية من الله تعالى . . . حضور مجالس العلم والذكر ، والمداومة على صلاة الفرض والنفل ، والمواظبة على تلاوة القرآن ، والتجهد بالليل والناس نيام ، والاستمرار على صيام المندوب والتطوع ، والاستماع إلى أخبار الصحابة والسلف الصالح ، واستذكار الموت وما بعده ، والارتباط بالرفقة الصالحة والجماعة المؤمنة .

فما أحرى الشباب أن ينهجوا هذا النهج في تقوية مراقبة الله وخشيته في نفوسهم . . . حتى لا تجاذبهم المغريات ، وتفتنهم زهرة الحياة الدنيا . . . عسى أن يكون من زمرة الصالحين الأطهار والمؤمنين الأبرار !! . . .

واليكم - أيها الشباب - هذين النموذجين العظيمين في العفة :

الأول : [يوسف عليه السلام شاب في ريعان الشباب مكتمل الرجولة ، رائع الفتوة، تدعوه إلى نفسها امرأة ذات منصب وجمال ، والأبواب مغلقة ، والسبل ميسرة كما حكى القرآن : ﴿ وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك ﴾ .

فماذا كان موقفه أمام هذا الإغراء ، وتلك الفتنة التي تخطف الأبصار ؟ ألانت قناته فاستسلم وخان عرضاً أؤتمن عليه ؟ كلا إنما قال : ﴿ معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون ﴾ !! [يوسف : ٢٣] .

ولقد حاولت امرأة العزيز بكيدها ومكرها ، وبكل ما لديها من ألوان الإغراء والتهديد أن تذيب من صلابته ، وتضع من شموخه ، وأعلنت ذلك للنسوة في ضيق وغيظ : ﴿ ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما أمره لئسجنن وليكونن من الصاغرین ﴾ [يوسف : ٣٢] .

ولكن الشاب يوسف عليه السلام اتجه بكليته إلى الله يسأله المعونة والعصمة : ﴿ رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه ، وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين ﴾ [يوسف : ٣٣] .

كانت فتنة بين ضمير المؤمن وخشيته الربانية . . ومغريات الإثم ، ففشلت المغريات ، وانتصر الإيمان !! [..]^(١) .

الثاني : وهذه امرأة في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذهب زوجها إلى الجهاد وغاب عنها كثيراً ، فتخيم عليها كآبة الوحشة ، وتهجم عليها هواجس الوحدة، ويثور في عرقها دم الأنوثة وتأجج فيها نار الغريزة . . فلا يصدّها عن ارتكاب المحرم إلا حاجز الإيمان ، ووازع المراقبة لله . . وفي جنح الليل البهيم سمعها عمر رضي الله عنه تنشد :

(١) من ((الإسلام والمشكلة الجنسية)) للدكتور مصطفى عبد الواحد .

لقد طال هذا الليل واسودَّ جانبه وأرَّقني ألا حبيب الأعبه
فو الله لولا الله تخشى عواقبه لحرك من هذا السرير جوانبه

وفي اليوم الثاني دخل عمر رضي الله عنه على ابنته حفصة أم المؤمنين ، وقال لها: كم تصبر
الزوجة على زوجها إذا غاب ؟

قالت : أربعة أشهر .

فأرسل الخليفة الراشد إلى قواده المرابطين في جبهات القتال يأمرهم : ألا يجبسوا جندياً عن أهله
أكثر من أربعة أشهر .

كانت فتنة بين استشعار هذه المرأة المؤمنة خشية الله . . وبين الدافع إلى الإثم والفاحشة فهمدت
الدوافع وانتصر الإيمان !! . .

تلكم أهم بنود المنهج في وصول الشاب المسلم إلى قمة العفة والتسامي . . ولا شك أن الشاب
إذا اتبع أصول هذا المنهج ، وسار على بنوده بدقة وإحكام وتطبيق ومثابرة . . فإنه ينتصر في الحياة
على كل الوسوس الشيطانية والنفسية التي تعتلج بين جوانحه ، ويتغلب على كل الدوافع الغريزية التي
تتوهج في أعماق كيانه . . بل يكون كالأنبياء في العصمة ، وكالملائكة في الطهر ، وكالسلف الصالح في
العفة . . حتى يأتي اليوم الذي يغنيه الله من فضله ، ويسهل عليه أسباب الرزق والمعاش . . والله
سبحانه دائماً يتولى المتقين الأبرار ويجعل لهم من كل هم فرجاً ، ومن كل ضيق مخرجاً . . لأنه القائل في
محكم تنزيله : ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴾ [الطلاق : ٢] .

والقائل أيضاً : ﴿ وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً حتى يغنيهم الله من فضله ﴾ [النور :

. [٢٣

وهذه العفة والتسامي ليس من الكبت في شيء - كما يتوهم البعض - لأن الكبت كما عرفه علماء النفس والتربية : " هو استقذار العملية الجنسية ، والاستشعار بالإثم لمن يزاولها ولو كانت مزاولتها عن طريق الزواج " .

وهذا معناه هو الترهين ، ولقد عقدنا فصلاً خاصاً في الفصل الثاني من هذا الكتاب بعنوان : " لا رهبانية في الإسلام " ، ولقد رأيت - أخي القارئ - كيف ان الإسلام ذمّ العزوبة ، ونفر من الرهبانية . . ؟ وكيف أنه شرع الزواج تلبية للفطرة ، واستجابة للغريزة . . فأين الكبت وهذا هو الإسلام في مبادئه وواقعيته ؟

[وبناء على هذا فإن الفتى الشاب حين يُحس بالرغبة الغريزية فإنه لا يحتاج - في الإسلام - أن يستعيز بالله من هذا الإحساس الجرد ، لأن الإسلام يقرر في صراحة أن هذه الرغبة أمر طبيعي لا نكران له ولا خلاف عليه .

وعلى ذلك لا يحتاج أن يكبت الشعور بهذه الرغبة ، لكي يتطهر في نظر الناس ونظر نفسه . . ولا يحتاج كذلك أن يشعر بالإثم من مجرد هذا الإحساس ، ومن ثم تتقي كل الاضطرابات النفسية والعصبية التي تنشأ من الشعور بالإثم والتي تؤدي إلى الجريمة في حالات الشذوذ .

ولكننا نعلم أن الإسلام لم يُبح للفرد أن يطيع هذا الهاتف الغريزي حسبما اتفق . . وإنما وضع لذلك الحدود الشرعية التي يكون مباحاً في داخلها ، ومحرمًا فيما وراءها .

هذا صحيح ، ولكن هذا شيء والكبت شيء آخر . . فهذا التحريم لما وراءها تعليق ينظم النشاط ولكن لا يقطع من منبته ، ولا يحرم الإحساس به في أية لحظة بين الإنسان ونفسه . . [^(١)] .

ومما يؤكد أن الكبت ليس له وجود في ظلال التربية الإسلامية أن إنساناً ما - وهو في حياة العزوبة - تملكته الشهوة ، وتحكمت فيه الغريزة ، وترجح لديه أنه سيرتمي في أحضان الفاحشة . . فيجوز له

(١) من كتاب " الإسلام والمشكلة الجنسية " للدكتور مصطفى عبد الواحد .

شرعاً أن يلجأ إلى العادة السرية لتسكين الشهوة . . أخذاً بالقاعدة الأصولية التي تقول : " يختار أخفّ الضررين ، وأهون الشرين " .

لهذا قال الفقهاء : " إن الاستمناء باليد حرام إذا كان لجلب الشهوة وإثارتها وهي هادئة ، أما إذا غلبت الشهوة بحيث شغلت البال ، وأقلقت الخاطر ، وأوقفت على باب الفاحشة ، وتعيّن الاستمناء طريقاً لتكسينها فإن الأمر جائز ومكافئ بعضه بعضاً ، وينجو صاحبه رأساً برأس أي لا أجر عليه ولاوزر ، فلا يثاب ولا يعاقب " ^(١) .

ألا فلتحرس السنة الذين يقولون إن الإسلام دين الكبت والرهبانية ، وإن نظرتة إلى الجنس نظرة استقذار وترفع وكراهية !! . .

ولقد رأيت - أخي القارئ - أن هذا الادعاء ليس له أصل في مبادئ الإسلام الخالدة . .

* * *

^(١) هذا النص الفقهي من كتاب " ردود على أباطيل " للعلامة المرحوم الشيخ محمد الحامد ص ٤٢ ، وسبق أن ذكرناه في بحث " حكم العادة السرية " من كتاب التربية .

وفي مسك الختام :

أثبتت كلمة طريفة للكاتب الكبير الأستاذ على الطنطاوي تمثل لونا من الوعي الإسلامي المعاصر للشباب ، فهي نموذج فريد للفهم البصير ، والإقناع الهادئ الذي يدعو إلى الحق بالحكمة والموعظة الحسنة ..

يقول حفظه الله في رسالة له " يا إبني " :

[لماذا تكتب إليّ على تردد واستحياء ؟

تحسب أنك أنت وحدك الذي يحسّ هذه الوقدة في أعصابه من ضرم الشهوة ، وإنك أنت وحدك الذي اختص بها دون الناس أجمعين ؟ ! ..

لا يا بني هون عليك ، فليس الذي تشكو داءك وحدك ، ولكنه داء الشباب . ولن أرقك هذا الذي تجد ، وأنت في السابعة عشرة ، فلطالما أرق كثيرين غيرك ، صغارا وكبارا ، ولطالما نفى عن عيونهم لذيد الكرى ، ولطالما صرف عن درسه التلميذ ، وعن عمله العامل وعن تجارته التاجر . . .

فماذا يصنع الفتى في هذه السنوات ، وهي أشدّ سنّي العمر اضطراب شهوة ، واضطراب جسد ، هياجاً وغلياناً ؟

ماذا يصنع ؟

هذه هي المشكلة ! .

أما سنّة الله ، وطبيعة النفس ، فتقول له : تزوّج .

وأما أوضاع المجتمع ، وأساليب التعليم فتقول له : اختر إحدى ثلاث كلها شر ، ولكن إياك ان

تفكر في الرابعة التي هي الزواج ! .

١ - إما أن تنطوي على نفسك ، على أوهام غريزتك ، وأحلام شهوتك ، تدأب على التفكير

فيها ، وتغذيها بالروايات الداعرة ، والأفلام الفاجرة ، والصور العاهرة حتى تملأ وحدها نفسك ،

وتستأثر بسمعك وبصرك ، فلا ترى حينما نظرت إلا صور الغيد الفواتن، تراهن في الكتاب إن فتحته ،
وفي طلعة البدر إن لمحته ، وفي حمرة الشفق، وفي سواد الليل ، وفي أحلام اليقظة ، وفي رؤى المنام . .

أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثّل لي بكل سبيل

ثم لا تنتهي بك إلا إلى الهوس أو الجنون أو انهيار الأعصاب .

٢ - وإما أن تعتمد إلى ما يسمونه " الاستمناء " (العادة السرية) ، . . وقد تكلم في حكمه
الفقهاء ، وقال فيه الشعراء . . . وهو وإن كان أقلّ الثلاثة شرّاً وأخفها ضرراً ، لكنه إن جاوز حدّه
ركب النفس بالهيم ، والجسم بالسقم ، وجعل صاحبه الشاب كهلاً محطماً ، كئيباً مستوحشاً ، يفر من
الناس ويخبئ عن لقاءهم ، ويخاف الحياة ويهرب من تبعاتها ، وهذا حكم على المرء بالموت وهو في رباط
الحياة .

٣ - وإما أن تعزف من حمأة اللذة الحرّمة ، وتسلك سبيل الضلال ، وتؤم بيوت الفحش ، تبذل
صحتك وشبابك ومستقبلك ودينك في لذة عارضة ، ومتعة عابرة ، فإذا أنت قد خسرت الشهادة التي
تسعى إليها ، والوظيفة التي تحرص عليها ، والعلم الذي أملت فيه ، ولم يبق لك من قوتك وقوتك ما
تضرب به لجج العمل الحر .

ولا تحسب بعد أنك تشبع . . كلا إنك كلما واصلت واحدة زادك الوصال نهماً ، كشارب الماء
الملح ، لا يزداد شرباً إلا ازداد عطشاً ، ولو أنك عرفت آلافاً ممنهن ثم رأيت أخري متمنعة عليك ،
معرضة عنك ، لرغبت فيها وحدها ، وأحسست من الألم لفقدتها مثل الذي يحسّه من لم يعرف امرأة
قط !!

وهبك وجدت ممنهن كل ما طلبت ، ووسعك السلطان والمال . فهل يسعك الجسد ؟ وهل

تقوى الصحة على حمل مطالب الشهوة ؟

دون ذلك وتنهأ أقوى الأجساد ، وكم من رجال كانوا أعاجيب في القوة ، وكانوا أبطالاً في الرِّبع والصرع والرمي والسَّبْق ، ما هي إلا ان استجابوا إلى شهواتهم، وانقادوا إلى غرائزهم حتى أمسوا حطامًا . .

إن من عجائب حكمة الله ، أنه جعل مع الفضيلة ثوابها : الصحة والنشاط . . وجعل مع الرذيلة عقابها : الانحطاط والمرض . . ولربّ رجل ما جاوز الثلاثين يبدو مما جار على نفسه كابن ستين ، وابن ستين يبدو من العفاف كشاب في الثلاثين .

ومن أمثال الإفريج التي سمعناها وهي حق وصدق " من حفظ شبابه حفظت له شيوخته "

وكأنني أسمعك تقول :

هذا الداء فما الدواء ؟

الدواء أن تعود إلى سنة الله وطبائع الأشياء التي طبعها الله عليها ، إن الله ما حرّم شيئاً إلا أحل شيئاً مكانه ، حرم المراهبة وأحل التجارة ، وحرّم الزنى وأحل الزواج ، فالدواء هو الزواج . فإذا لم يتيسر لك الزواج . . فليس إلا التسامي ، وأنا لا أريد أن أعقد هذا الفصل الذي كتبتُه ليكون مفهوماً واضحاً ، بمصطلحات علم النفس لذلك أعمد إلى مثال أمثله لك :

أترى إلى إبريق الشاي الذي يغلي على النار ؟ !

إنك إن سدّدته فأحكمت سدده ، وأوقدت عليه ، فجّره البخار المحبوس ، وإن خرّفته سال ماؤه فاحترق الإبريق إن وصلت به ذراعاً كذراع القاطرة ، أدار لك المصنع ، وسير القطار ، وعمل الأعاجيب ! . .

فالأولى حالة من يجبس نفسه على شهوته ، ويفكر فيها ، ويعكف عليها .

والثانية حال من يتبع سبيل الضلال ، ويؤم مواطن اللذة المحرّمة .

(١) يذكرني هذا المثل ما روي عن أحد السلف الصالح قوله : " هذه أعضاء حفظناها في الصغر ، فحفظها الله في الكبر " .

والثالثة حالة المتسامى (المستغف) .

فالتسامى هو أن تنفس عن نفسك بجهد روى أو عقلى أو قلبى أو جسدى . . يستفد هذه القوة المدخرة ، ويخرج هذه الطاقة المحبوسة . . بالتجاء إلى الله والاستغراق فى العبادة أو بالانقطاع إلى العمل والانغماس فى البحث ، أو التفرغ للفن والتعبير عن هذه الصورة التى تصوورها لك غريزتك ، بالألفاظ شعراً ، وبالألوان لوحة . . أو بالجهد الجسدى والإقبال على الرياضة ، والعناية بالتربية الدينية أو البطولة الرياضة . . والإنسان- يا بنى - محب لنفسه لا يقدم أحداً عليها ، فإذا وقف أمام المرأة ، ورأى استدارة كتفيه ، ومائة صدره ، وقوة يديه ، كان هذا الجسم الرياضى المتناسق القوى . . أحب إليه من كل جسد أثنى ، ولم يرض أن يضحي به ، ويذهب قوته ، ويعصر عضلاته ، ويعود به جلدًا على عظم من أجل سواد عيني فتاة ولا من أجل زرقتهما . .

هذا هو الدواء : الزواج وهو العلاج الكامل ، فإن لم يمكن فالتسامى وهو مسكن مؤقت ، ولكنه مسكن قوى ينفع ولا يؤذى . .

أما ما يقوله المغفلون أو المفسدون :

من أن دواء هذا الفساد الاجتماعى هو تعويد الجنسين الاختلاط حتى تنكسر بالاعتیاد حدة الشهوة ، وفتح " المحلات العمومية " حتى يقضى بها على البغاء السرى ، فكلام فارغ . . وقد جرّبت الاختلاط أمم الكفر كلها فما زادها إلا شهوة وفسادًا . . أما المحلات العمومية فإننا إذا أقرناها وجب أن نوسّعها حتى تكفى الشبان جميعًا ، وإذن فينبغى أن يكون فى القاهرة أكثر من عشرة آلاف بغي ، لأن فى القاهرة مائة ألف شاب^(١) على الأقل . .

وإذا نحن جوزنا للشباب ارتيادها فاستغنوا بذلك عن الزواج ، فماذا نصنع بالبنات ، هل نفتح لهن أيضًا محلات عمومية فيها " بغايا " من الذكور ؟ .

كلام فارغ يا بنى والله :

(١) هذا الإحصاء منذ ٢٥ سنة فى الحين الذى نشر المؤلف رسالته " يا بنى " .

وما تقوله عقولهم ، ولكن غرائزهم ، وما يريدون إصلاح الأخلاق ، ولا تقدم المرأة، ولا نشر المدنية ، ولا الروح الرياضية ، ولا حياة الجامعة ، إنما هي الفاظ يتلّمظون بها ويتدعون كل يوم جديداً منها ، يهولون بها على الناس ، ويروجون بها لدعوتهم ، وما يريدون إلا أن نخرج لهم بناتنا وأخواتنا ليستمتعوا برؤية الظاهر والمخفي من أجسادهن ، وينالوا الحلال والحرام والمتعة بهن ، ويصاحبوهن منفردات في الأسفار ، ويراقصوهنّ متحمّلات في الحفلات ، وينخدع مع ذلك بعض الآباء فيضحّون بأعراضهم ليقال إنهم من المتمدنين . . .

وبعد ، فيا إبني يعليك بالزواج ، ولو أنك طالب لا تزال ، فإن لم تستطعه فاعتصم بخوف الله ، والانغماس في العبادة ، والدرس ، والانشغال بالفن ، وعليك بالرياضة فإنها نعم العلاج [أه .

أيها الشباب والشابات :

هذا هو الحلّ الوحيد لمشكلتكم الجنسية ، فإياكم أن تسمعوا إلى أذعياء التقديمية الذين يزينون لكم المنكر ، ويحسنون الفجور بقولهم : إن حل المشكلة هو تهذيب الغريزة بالاختلاط منذ الصغر^(١) ، أو إشباع الغريزة بالحرام . . فهؤلاء الهارفون بما لا يفهمون ، والمتبجحون بما لا يعقلون . . ما هم في الحقيقة إلا منفذون من حيث يعلمون أو لا يعلمون مخططات اليهودية والصليبية ، ومؤامرات الماسونية والشيعوية . . لجرّ الشباب والشابات في المجتمعات الإسلامية إلى وجودية فاجرة ، وإباحية داعرة أتدرون من أجل ماذا ؟

من أجل أن ينصرف شباب الإسلام عن الجبهات المرسومة للكفاح والجهاد ، من أجل أن يطأطأوا رؤوسهم لحكم الطغاة والمستبدن . .

من أجل أن يصفقوا لكل ناعق ، ويستسلموا لحكم كل ملحد . .

من أجل أن يكونوا قطعاناً تسوقها عصا العبيد . .

(١) ارجع إلى رسالتنا " إلى كل أب غيور يؤمن بالله " فإن فيها الرد القاطع على هذا الافتراء بشكل لا يترك شبهة لمرتاب .

فحذرًا - يا شباب - من هذه الادعاءات الكاذبة . . فتحصنوا بالصبر ، واربطوا قلوبكم بالله ،
وتوجوا رؤوسكم بعزة الإسلام . . وارفضوا بكليتكم دعوة كل إباحي فاجر ، وتبجح كل وجودي
ملحد . . واسمعوا إلى ما يقوله الله سبحانه في محكم تنزيله : ﴿ ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل
، وأضلوا كثيرًا ، وضلوا عن سواء السبيل ﴾ [المائدة : ٧٧] .
الله أسأل أن يُري شبابنا الحقَّ حقًا ويرزقهم اتباعه ، ويُريهم الباطل باطلًا ويرزقهم اجتنابه ، وأن
يبصرهم دائمًا طريق الحق والهدى إنه أكرم مأمول وخير مسؤول .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

انتهى ١ رمضان المبارك ١٣٩٨ هـ

الموافق ٥ آب ١٩٧٨ م